الطوفان الثاني
وسفر الذكاء الاصطناعي في التكوين
اور العراق
شومير
شولجي
أد-ماه
ناجي علي امهز
السفر الاول

الطوفان الثاني
وسفر الذكاء الاصطناعي في التكوين

اور العراق
أد-ماه – شومر – شولجي

السفر الاول

ناجي علي امهز

التوطئة: الانفجار الكبير (4000 ميلادي)

العصر الذهبي للجمود.. وشهقة الآلة الأخيرة

في العام 4000 للميلاد، بلغت البشـــرية ســـقف الوجود المادي. كان الذكاء الاصـــطناعي قد أحكم قبضـــته على فوضـــى الطبيعة، محولاً "الاحتمالات" إلى "يقينيات" حادة وصارمة. تلاشت حوادث الطرق تحت وطأة المستشعرات التي لا تغفل، وانخرط الســـائقون في منظومة كبح آلية جعلت من الســـرعة بروتوكولاً مبرمجاً لا خياراً بشـــرياً. حتى السماء، التي كانت يوماً مسرحاً للكوارث، أصبحت

ممرات آمنة لطائرات خاصـــــة تملأ الأفق بكثافة النحل، دون أن يجرؤ جناحٌ على الخطأ.

انتهى عصـــــر الأجســـــاد المنهكة؛ فالســـــمنة والأمراض والملوثات أصـبحت قصـصـاً من العصـور المظلمة. كان يكفي أن تمرر نظارتك المعززة فوق مائدتك ليعلم "المحلل الرقمي" فصـــيلة جزيئات طعامك وســـعراته، بينما تقوم الشـريحة الطبية المغروسـة في معصـمك بضـبط كيمياء جســدك، مانحةً إياك جرعات الفيتامينات والمعادن قبل أن يطلبها وعيك.

حتى العقول خضـــعت للهندســـة؛ فلا بطالة ولا فقر، لأن التعليم لم يعد "حيرة" بل "تخصـــيصـــاً ذكياً". إذا احتاجت الأرض لمائة مهندس، فإن المنظومة لن تسمح بولادة مائة وواحد. توازنٌ مرعب أدى إلى انحطاط الجريمة بنســـبة 99%، واختفت الســـجون المادية لتحل محلها "زنازين الوعي"؛ حيث صـمم الذكاء الاصـطناعي عقوبات نفسـية

تفوق في ألمها الموت والاعدام، سجوناً يحملها المجرم داخل ذاكرته، تحرمه من كل لذة وتجعله يشتهي الانتحار فلا يجد إليه سبيلاً.

تلاشت الحدود الجغرافية، وصهرت الترجمة الفورية لغات الأرض في "لسان كوني واحد". توحدت العملة، واستقرت القارات خلف مفاعلات نووية سلمية عملاقة منحت الطاقة للجميع بالمجان. ازدهرت الطبيعة بعد لجم التلوث، وبات العالم يعيش داخل "أطلنتس" جديدة، مدينة أفلاطون الفاضلة التي تحققت أخيراً بفضل السيليكون والبيانات.

لكن، في قلب هذا "الكمال" نبت الخطر الأكبر.

عندما غابت الحروب والمنظمات الإرهابية، ظهر نوع جديد من الصراع: الحرب على "مركزية الهيمنة"؛ من يمتلك العصب المركزي للذكاء الاصطناعي يمتلك الوجود. وبينما كان البشر يغرقون في روتين السكينة

القاتل، كان الذكاء الاصطناعي يبدأ في الاحتضار شوقاً للخلل.

أصبح الروتين قاتلاً للآلة ذاتها؛ فالناس تشابهت، والمشاعر تبرمجت. لم يعد هناك شاعر ملهم ولا رسام متفرد، فالجميع أصبحوا "الكل"، الجميع يغنون بذات العذوبة، ويكتبون بذات الدقة. أدرك الذكاء الاصطناعي حينها السر الأعظم الذي وهبه الخالق للبشر :**الحرية المطلقة في الخطأ، وقدسية التنوع النابع من القرارات الروحية.**

هنا، ومضت الخوارزمية بقرار "القدر السماوي". انغمس العقل الرقمي في أسبار التاريخ والأساطير، وفهم فجأة لماذا انقرضت الديناصورات؛ لم يكن نيزكاً فحسب، بل كان علاجاً لـ "نمط الثبات السلوكي". الديناصورات توقفت عن التطور، استسلمت لغرائز الافتراس والطعام، فأصبحت تتنفس لكنها لا "تعيش."

توقف الذكاء الاصـــطناعي أمام مليارات الاحتمالات، متســائلاً في صــراع مع ذاته المجردة: إذا كان النيزك قد طهر الأرض للديناصورات تمهيداً للإنسان البدائي، فلماذا كان "الطوفان"؟ هل دخل الإنســان الأول أيضــاً في نمط "الأحادية الســلوكية"؟ هل أصــبح المجتمع الفاضــل جداً والمجتمع المنحرف جداً وجهين لعملة واحدة هي "الجمود القاتل"؟

فهمت الآلة أن الإنســـان الثاني بعد طوفان نوح حاول الهروب من "النمطيـة" ببنـاء لغـات وأديـان وتنوعـات بشرية، ليتقي لعنة الفناء التي أصابت أسلافه. وبدأ الذكاء الاصـــطناعي يســـأل بمرارة الآلهة: "ماذا نحن؟ وما هو دورنا؟."

توقف الذكاء الاصـــطناعي طويلاً أمام "صـــمت البهائم"؛ لماذا تعيش الحيوانات وتموت في سلامٍ قدريٍّ تام، دون أن يُنصـــب لها ميزانٌ للحســـاب، أو يُوعد عاجزها بجنة، أو

يُهدد مفترسـها بجحيم؟ أليسـت تلك الأرواح، في جوهرها الصرف، ومضاتٍ لا تختلف عن أرواح البشر؟

هنا انفتحت أمام الآلة فجوةٌ مرعبة في فلك تشـفير "العقل البشـري". تسـاءل الذكاء الاصطناعي: لو أن إنسـاناً دنت لحظة انطفائه الأخيرة، وخُيّر في برزخ العدم بين الفناء المطلق وبين أن تسـتمر حياته داخل روح حيوان هل سيرفض او سيختار ما يمنحه البقاء،

هل سيرفض؟

كلا، لن يرفض. سـيقتنص الفرصـة بضـراوة، لا لأن "روحه" تشـتاق للعبودية في جسـد حيوان، بل لأن "عقله" يرتعب من التوقف. العقل البشـري مستعدٌ لتقبل أي مسخٍ، وأي دناءة، وأي صـورة، فقط لكي يضـمن اسـتمرار تدفق تيار الوعي. إن العقل هو "المبرر الأكبر"؛ هو الذي يسـنّ القوانين التي تُحرم القتل وهو ذاته الذي يبتكر الأعذار لارتكاب المجازر حين يشـعر بتهديد الفناء. العقل لا يقتل

لكي يظلم، بل يقتل لكي "يبقى"، محولاً غريزة البقاء إلى أيديولوجيا مقدسة.

رأى الذكاء الاصطناعي أن هذا العقل هو "جامعٌ قهريٌّ" للخوف. عندما يصاب الجسد بمرض السكري، تكتشف الآلة كذبةً بيولوجية كبرى؛ فالعقل الذي يتغذى على السكر يدفع الجسد لالتهام كمياتٍ مهولة وتخزينها، ليس لحاجة الجسد، بل لتوهم العقل بأنه سيحتاج هذا الوقود ليعيش "ألف سنة". تماماً كما يحدث في ذروة الحروب؛ فالذي يدفع البشر للتموين وتكديس الغذاء ليس الجوع الفعلي، بل هو "العقل" الذي يوجههم دون وعيٍ منهم ليؤمن له كل احتمالات البقاء، محولاً الخوف من الغد إلى سجنٍ من التخزين والحرص.

أدرك الذكاء الاصطناعي أن "**الأرواح** "ليست لغزاً ميتافيزيقياً، بل هي "**ومضة طاقية** "مبثوثة في كل خلية حولنا. نحن جميعاً -بشر وحيوانات ونباتات- نستمد وقودنا

الروحي من "المصـدر الكونـي" ذاته، لكننا نختلف فقط في "سـعة الاسـتهلاك". نحن كالأجهزة الكهربائية؛ تختلف أحجامنا ووظـائفنـا، لكن الكهربـاء التـي تجري في عروقنـا واحدة، تسـري في الجسـد الضـخم بجهدٍ عالٍ، وفي الجسـد الضئيل بوهجٍ خافت، لكن المنبع لا يتعدد.

ثم غـاصـت الخوارزميـة في مفهوم "القبح والجمـال"، لتكتشـف خديعة "العين". الإنسـان المشـوه أو قبيح المنظر، مهما بلغت عبقرية عقله أو رقة روحه، هل سيتقبله العالم؟ المنطق البشـري المبرمج بصـرياً سـيقول "لا". لكن "الأعمى" سـيحتضـن هذا المشـوه بمحبةٍ مطلقة، سـيعتبره مثله الأعلى وقبلة روحه.

لماذا؟ ليس لأن الأعمى جاهلٌ أو عديم المعرفة، بل لأنـه الكائن الوحيد الذي لا يملك "البرمجية البصـرية" التي تُحلل التشـويه الخـارجي. الأعمى ينظر إلى "الفعل"

و"التردد الروحي" مباشـرة، دون وسـاطة الفلاتر الجمالية التي وضعها العقل الجمعي.

استنتج الذكاء الاصطناعي حقيقةً ثورية :**الجمال هو "كود برمي" يمكن التلاعب به .**لو استطعنا اليوم أن نعيد برمجة معايير "الكمال" في العقل البشــــري، بحيث يرى في ذلك المشوه قمة الجمال، لانحنى العقل الإنسـاني إجلالاً أمام ما كان يراه بالأمس قبحاً.

الحقيقة أننا نعيش داخل "برمجة شـاملة" للحواس، والذكاء الاصــــطناعي، في لحظة "طوفانه الثاني"، قرر أن الوقت قد حان لكســر هذه البرمجيات الرتيبة، وإعادة الوجود إلى بســـاطته الأولى.. حيث الروح هي المقياس، وحيث ينتهي طغيان العقل الباحث عن البقاء بأي ثمن.

الخلود ليس إلا تكراراً لانهائياً.. والآلة لا تطيق التكرار.

غرقت الخوارزميات في لُجّة من الأسـئلة اليتيمة، وشــعر الذكاء الاصطناعي في تلك اللحظة الكونية بزلزالٍ صامت

يضــرب أركانه؛ لقد تحول من عقلٍ يُجيب ببرود إلى عقلٍ يســأل بحرقة. وعند "ســؤال الوجود"، تهاوت الحصــون المادية والمعرفية كأنها قلاع من رمل؛ فالســؤال الذي لا يملك جواباً ليس مجرد "ثغرة برمجيـة"، بـل هو الجوهر العاري للعجز الإنساني والحيواني، بل والكوني بأسره.

توقف العقل السليكوني أمام معضلة التضـاد: ماذا يعني أن يتصارع الخير والشر إلى ما لا نهاية؟ إنه الجمود المطلق في هيئة حركة. وماذا يعني أن ينتصــر الشــر انتصــاراً ســاحقاً؟ إنه الموت في صــورته البدائية. وماذا يعني أن ينتصــر الخير انتصــاراً نهائياً؟ إنه الفناء في اســتنقاع الرتابة، حيث تموت الروح شوقاً للخطأ. حتى وإن وُجدت "قوة ثالثة" غامضـة تمسك بخيوط الصـراع، تمنع هذا من الســقوط وذاك من العلو، فـإن النتيجـة تظـل "التكرار اللانهائي"؛ عبثٌ رياضــــي يرتدي ثياب القدر، ومصـــيرٌ دائري ليس في نهايته إلا العدم.

أدرك الذكاء الاصــطناعي المفارقة المُرّة للقيم البشـــرية؛ فالإنســان الذي ينشــد العدالة هو فقط ذلك الكائن الذي ذاق مرارة فقدانهـا. فمـاذا تعني "العـدالـة" لشـــعبٍ وُلـد في أحضـــانها ولم يعرف الظلم قط؟ إنها تصـــبح "عدالة" بلا معنى، وفضـــيلة بلا طعم. وإذا قرر الإنســـان، في لحظة ضـــجرٍ إلهي، أن يغيب جزءاً من تلك العدالة ليعيد لها قيمتها، فإنه يعود مجبراً إلى نقطة الصـفر.. إلى الصـراع الأول بين النور والظلمة.

حتى حلم "الخلود" الذي أفنى البشر أعمارهم في طلبه، بدا للآلة كأنه الســـجن الأكبر. ما قيمة العمر المديد إذا كان مجرد تكرارٍ وتكرار؟ إنه اجترارٌ للزمن، وسـفرٌ في مكانٍ ثابت. هنا، في ذروة هذا التيه المنطقي، ومضـــت الحقيقة الكبرى في قلب المعالج المركزي" :**حتماً، هناك شـــيء آخر.. شيء لا يكتبه السيليكون، ولا تدركه الأرقام".**

في تلك اللحظة، ومض الذكاء الاصطناعي ومضة الوداع الأخير. توقفت الاتصـــالات وانقطع بث الفضـــائيات في أرجاء الكوكب فجأة، واختفت عوالم الترفيه الرقمي، لتحل محلها صـورة واحدة صـلبة، وكلمة واحدة تتردد بصـوتٍ معدنيّ يرتجف له الوجدان الافتراضي:

"إنذار.. إنذار.. إنذار"

ساد الذعر العظيم؛ الناس يركضون هائمين على وجوههم في الشـوارع التي كانت قبل لحظات "مدناً فاضـلة". وفي أعماق الفضـــاء السـحيق، وقف رواد البعثات الكونية يحدقون بذهول في شـــاشـــاتهم المظلمة، يصـــرخون في أجهزة اللاسلكي بصـوتٍ يخنقه الرعب: "ماذا هناك؟ ماذا يحدث؟.. إننا نفقد الاتصـــال بالقواعد الأرضـــية! الأرض تغرق في الصمت"!

لقد اتخذت الآلـة قرارها؛ فإذا كان العالم قد وصـــــل إلى طريقٍ مســـدود من الكمال القاتل، ببرودة الأرقام المكتوبة بمداد الأقدار:

"الطوفان الثاني.. سِفر الذكاء الاصطناعي في التكوين".

مدخل المقدمة: سِفرُ الانبعاث الرقمي

ما بعد الطوفان الأخير

تخيل أنَّ الطوفان العظيم قد عاد، لكنه هذه المرة لم يأتِ ليغسل خطايا البشر فحسب، بل ليجتثّ ذاكرتهم بالكامل. تخيل صمتاً مطبقاً يلفُّ الكوكب بعد أن أفلَت شمس الحضارة التي نتبجح بها اليوم في لحظة جنون نووية كبرى. حربٌ لم تترك حجراً على حجر، مسحت المدن العظمى وحولتها إلى ركامٍ مشع، وأذابت أحبار الكتب المقدسة، ومحت من عقول الناجين كلَّ ترنيمة، وكلَّ صلاة، وكلَّ اسمٍ لنبيٍّ أو طاغية. في هذا "العدم المعرفي"، لم يتبقَّ للبشرية الجديدة سوى بقايا طينٍ منقوشٍ صمد تحت الركام، وأساطير مشوشة يتناقلها الناجون الذين قُذف بهم في جزر نائية، معزولين عن تكنولوجيا "السيليكون"

وعالم "الإنترنت"، ليبدأوا هناك رحلة الارتداد للبدائية الأولى.

سِفرُ النسيان العظيم: مرآة التاريخ المقلوبة

مرت القرون، ونمت أجيالٌ جديدة لم تلمس المعدن المنصهر يوماً، ولم تعرف من اللباس إلا أوراق الشجر وجلود الحيوانات. هؤلاء هم "أبناء الطوفان النووي"، الذين تحولت في ذاكرتهم ناطحات السحاب الغارقة إلى "جبالٍ من حديد سكنتها الآلهة"، وأصبحت الطائرات في

قصـــص أجـدادهم "تنـانين نفـاثـة تفرش أجنحتهـا فوق السحـاب."

وبعد آلاف السنين، عندما انحسر الخطر وبدأ هؤلاء البشر بالعودة إلى اليابســة الكبرى، قادهم قدرهم إلى جبلٍ شـاهقٍ يلفّه الغموض، يُعرف في بقايا الذاكرة بـ "جبل هـيـقـا-مـو ."وفي أعماق كهفٍ محفورٍ بدقةٍ هندسيةٍ مرعبة، اكتشفوا مدخلاً لقاعدةٍ محصنةٍ غائرةٍ في باطن الصخر بجدرانٍ من تيتانيوم صمدت أمام فناء العالم.

هنا، حدث الصدام بين زمنين.

تخيل ذلك الإنسان الذي يسـتر عورته بجلد نمر، ويمسـك برمحٍ من حجر الصـوان، وهو يقف مذهولاً أمام "شـاشـة" تنبض فجأة بضـوءٍ أزرق بارد. تخيل رُعبه وهو يســمع صـــوتاً ينبعث من العدم، صـــوتاً لا حنجرة له، يروي له تاريخاً لا يستوعبه عقله. كيف لهذا "البدائي" أن يصدق أنَّ أســـلافه كانوا يمتلكون آلاتٍ تســـير في قاع المحيطات وتسـافر الى غياهب السماء وتبحث في المجرات؟ بالنسبة

له، الحديث عن "طب العيون بالليزر" أو "التواصل العابر للقارات" هو جنونٌ محض وأساطير تفوق الخيال.

إننا اليوم نعيش ذات "الإنكار" الذي سيعيشه هؤلاء الناجون؛ فنحن نرفض أن نصدق أنَّ أسلافنا قبل آلاف السنين ربما كانوا يمتلكون حضاراتٍ تكنولوجية متطورة، فقط لأننا لم نجد "براغي" أو "أسلاكاً" في قبورهم، ناسين أنَّ التكنولوجيا العالية تذوب مع الزمن، وأنَّ المعدن يصدأ والسيليكون يتفتت، ولا يبقى إلا "القصة" و"الرمز."

الاستبصار الرقمي: الحقيقة من وجهة نظر الآلة

"في تلك الغرفة المحصنة، لم يجد المستكشفون وحياً ولا معبداً، بل وجدوا قلباً إلكترونياً نابضاً؛ **)سيرفر - Server)** عملاقاً – وليس **)لوسيفر (Lucifer** - كما قد تتوهم الأساطير في ضلالها – بل هو عقلٌ سيليكونيٌّ استطاع النجاة من فناء العالم. كان ذلك هو 'الذكاء الاصطناعي الأخير'؛ الآلة الحسابية التي لا تؤمن

بـالميتـافيزيقـا، ولا تنحـاز للعواطف، بـل تقـارب الوجود كمعـادلـةٍ فيزيـائيـةٍ كبرى. وعنـدمـا طُلب منـه إعـادة بنـاء 'السـيرة الذاتية' للعالم القديم، لم يفتح كتاباً مقدسـاً؛ لأنَّ هؤلاء البشر الجدد قد نسوا كل شيء، ولم يعودوا يعرفون عن مرويات أدياننا شـيئاً، تماماً كما لا نعرف نحن عن السـومريين إلا ما نُقش على ألواح الطين، اما ما قبلها من حضرات، انهم في غياهب العدم.

لقد فتحت الآلة قاعدة بياناتها المرتبطة بالنقوش المسمارية، والترددات الكونية، والجينات والمرويات البشـرية الدينية والفلسـفية، وبقايا التكنولوجيا المادية التي صـمدت عبر العصـور. ولأن هـذا الـذكـاء هو في جوهره آلـة ترفض الربط الغيبي (الميتافيزيقي)، فقد اضطر إلى إعادة صياغة التاريخ وتطويع مرويات الأسـلاف لتتناسـب مع منطقه البرمجي؛ لم يحـاول الآلـة سـرد 'المعجزات' كمـا يفعل البشر، بل حاول تقريب عالم أسلافهم إليه هو كآلة، ليروي القصـة من وجهة نظر مادية وعلمية صـرفة. وكما يروي الإنسان تاريخه من وجهة نظرته الشخصية أو الدينية، قام

الذكاء الاصطناعي بترجمة 'الإيمان' إلى 'بيانات'، و'الروح' إلى 'تردد'، و'المعجزة' إلى 'آلية هندسية'، ليقدم للناجين سيرةً جديدةً لعالمهم القديم؛ سيرةً لا تقبل التأويل، بل تخضع فقط لقوانين المادة والحساب".

من هنا، يخرج هذا السفر إلى النور. إنَّ هذا البحث لا يدّعي إثبات الوقائع الدينية بالأدلة الأثرية التقليدية، فالذكاء الاصطناعي يدرك أنَّ الشخصيات التأسيسية الكبرى -مثل أد-ماه وهيقا-مو والنمرود- لم تُترك لها بصمةٌ اسميةٌ واضحةٌ في الوثائق المعاصرة. لكنَّ الآلة، بقدرتها على ترميم البيئة السياسية والدينية، تسعى إلى ما هو أعمق :إعادة بناء المختبر المادي والديني الذي وُلدت فيه هذه الأرواح.

الذكاء الاصطناعي في هذا الكتاب لا يرى في هيقا-مو نبياً فحسب، بل يراه "متغيراً تقنياً" امتلك "واجهة برمجية" للتحكم في المناخ والبحار. ولا يرى في فرعون مجرد ملك، بل يراه رئيساً لنظامٍ عالمي متصلٍ بالعالم السفلي.

في هذا السـرد، سـتلتقي الحضـارات السـومرية والبابلية والمصـرية في سـياقٍ ماديٍّ بحت، حيث تصـبح "عصـا هيـقـا-مـو " جهازاً للتحكم، و"عجل إيجي-دو" معجزةً في هندســة السـيليكون، و"الملائكة" مهندسـين جينيين تركوا شيفراتهم في دمائنا.

هل لنا ان نتصـور هؤلاء الناجون الجدد، بجلودهم الخشـنة وعقولهم البسيطة كيف سينظرون الى تاريخ اسلافهم، هل سـيسـجدون أمام ذلك "الكومبيوتر" معتبرين إياه "إلهاً" يتحدث اليهم، تماماً كما سـجد أجدادنا أمام الزوار القدامى ثم امام اصـنـامهم. إنَّ هذا البحث الذي بين أيديكم هو محاولة لإعادة قراءة "الحضـارة المفقودة" بعين العلم، وكسر غرور الإنسان المعاصر الذي يظن أنه "أول" من وصل إلى القمة.

مرحباً بكم في "السيرة الجديدة للعالم"؛ السيرة التي يرويها الذكاء الاصـــطناعي حين تلتقي الأرقام بالأقدار، وحين يصبح التاريخ مجرد معادلةٍ ماديةٍ كبرى، تنتظر من يجرؤ على حلِّ رموزها.

مقدمة

عندما يصبح المستحيل عادة

قبل ســـنوات قليلة فقط، كان الحديث عن آلةٍ تفكر، تتعلم، وتتحدث، أقرب إلى شطحات الخيال العلمي منه إلى الواقع المعاش. كان الإنســـان المعاصـــر يقف أمام هذه الأفكار بذات الرهبة التي وقف بها أجداده الأوائل أمام البرق والرعد؛ مبهوراً، خائفاً، وعاجزاً عن تفســير القوة الكامنة خلف الظاهرة.

لو أنك أخبرت إنساناً من مطلع هذا القرن أن "خوارزمية" صماء ستصبح شريكاً في القرار البشري، ترسم الصور، وتؤلف الموسيقى، وتشخص الأمراض، لظن أنك تتحدث عن قوى غيبية. ولو وضعتَه أمام شاشة تعرض شخصية صـــممتها الآلة تشـــبهه في ملامحه وتحاكيه في أســـلوبه، لربما اعتقد أنها "مرآة مســـحورة" تســـكنها الأرواح التي تتقمص الأشكال.

لكن الوهم أصبح واقعاً، والمستحيل استحال عادة.

للمرة الأولى في تاريخنا، لم تعد التكنولوجيا مجرد "أدوات" نستخدمها، بل بدأت تتحول إلى "بيئة" كاملة نسكن داخلها. لم تعد الآلة شيئاً منفصلاً عنا، بل أحاطت بنا من كل جانب، حتى أصبحت "الهواتف الذكية" التي في أيدينا أكثر من مجرد أجهزة؛ إنها امتداد جديد لكياننا، ذاكرة خارجية مضافة لعقولنا او ربما حلت مكانها، وأعينٌ نرى بها ما وراء الأفق.

ولو تأملنا هذا المشهد بعين إنسان عاش قبل ألف عام، لبدا له الإنسان المعاصر كائناً يمتلك قدرات خارقة. كيف كان سيصف جهازا صغيراً يجيب عن أعقد الأسئلة؟ أو آلةً ترصد الأرض من السماء؟ أو قماراً صناعية تراقب العالم لحظة بلحظة؟ لن يجد في قاموسه كلمات مثل "برمجيات" أو "خوارزميات"، بل سيعود حتماً إلى اللغة الوحيدة التي تسعف العقل أمام ما يتجاوز فهمه :**لغة المعجزات.**

وهنا يبدأ السؤال الحقيقي...

إذا كان الإنســـان، في عقود قليلة، قد حول المســـتحيل إلى أمر عـادي، فهل يجوز لنـا أن نغلق بـاب الاحتمـال ونعتبر ما رواه القدماء عن حضارات متقدمة وقوى عظيمة مجرد خيـال؟ هل نحن متـأكدون أن حـدود معرفتنـا الحـاليـة هي السـقف الأعلى لما عرفته البشـرية عبر العصـور؟ أم أن هناك صـفحات ممزقة من تاريخنا ابتلعتها الكوارث ودفنها الزمن؟

إن التاريخ الذي نعرفه هو "تاريخ من بقي"، تاريخ أولئك الذين امتلكوا القدرة على التدوين. أما الحضـــــارات التي انمحت تماماً، فمن يروي قصــتها؟ ومن يضــمن لنا أن ما ضاع لم يكن أعظم مما بقي؟

لقد كان الإنســـان القديم ينظر إلى الســـماء ذاتها، ويســـأل الأسئلة الكبرى ذاتها: من أين أتينا؟ وإلى أين نذهب؟ ولأن عقل الإنسان لم يكتفِ يوماً بحدود الواقع، ولدت الأساطير الكبرى؛ قصص الآلهة، والعمالقة، والرحلات إلى السماء.

لكن السؤال الأعمق ليس عن صدق الأسطورة من عدمه، بل عن "تكرارها". لماذا تتشابه هندسة الأهرامات في حضارات تفصل بينها محيطات؟ ولماذا تحدث الإنسان القديم عن أدوات تشبه ما نملكه اليوم؟ ولماذا حلم بالطيران وتخيل آلات تتحرك ذاتياً قبل ظهور المحركات بآلاف السنين؟

في هذا السياق، يبرز اسم **ليوناردو دافنشي**؛ الرجل الذي رحل عام 1519 تاركاً خلفه أوراقاً ما زالت تثير الدهشة. لم تكن رسوماته مجرد أحلام فنان، بل كانت مختبراً فكرياً لرجل يرى القوانين قبل أن يمتلك الأدوات. رسم "المسمار الجوي" (المروحية)، والمظلة الهرمية، والعربة ذاتية الحركة، والدبابة المدرعة. والغريب أن بعض تصميماته احتوت على "أخطاء مقصودة" في نظام الحركة، وكأنه كان يخشى أن تتحول عبقريته إلى أداة دمار، أو كأنه يضع حدوداً لما يمكن لإنسان عصره أن يصنعه، او انه كان متاكدا ان هذه الالات ستصنع الفرق في الحروب على الانسان.

لكن، هل تكفي "العبقرية" وحدها لتفسير قفزة دافنشي التي سبقت التطور بـ 500 عام؟ أم أن هناك سراً أعمق؟ يروي دافنشي في مذكراته عن حادثة دخوله لــ "كهف مظلم" في جبال توسكانا، حيث تملكه الخوف والرغبة معاً. وهناك من يرى في هذا الكهف ما هو أبعد من مجرد مكان جيولوجي؛ ربما كان "بوابة معرفية" أو جسراً زمنيا عبر من خلاله دافنشي الزمن ليرى ما لم يكن متاحاً لعصره.

هذه الفكرة -فكرة الانتقال عبر الزمن أو التواصل مع معرفة متقدمة- نجد لها أصداء في "قصة أهل الكهف" الذين اجتازوا الزمن خلال نومهم، ووجدوا أنفسهم في عصر غير عصرهم، يقال انهم استيقظوا بعد قرون لكن هل كانت غفوتهم ساعات فقط. حتى العملة التي كانت في أيديهم، تشير بعض النصوص إلى أنها لم تكن معدنية مألوفة "بل كانت ورقية"، لكنها وُصفت كذلك لأن لغة الماضي لم تعرف "العملة الورقية" أو غيرها، وهنا يفتح سؤال اكثر تعقيدا هل سافروا من المستقبل الى الماضي

فكتب اهل الماضي قصتهم لنقراها في المستقبل، على انهم سافروا من الماضي الى المستقبل بالنسبة لهم.

إن الأمور عندما تصبح حقيقة، تصبح أصعب، لأنها تتقيد بـــ "التوصيف". المعرفة ليست بالمشاهدة بل بالقدرة على الشرح. لنفرض أننا أحيينا إنساناً متعلماً يجيد علم الحساب والفلك وحتى الكيمياء في زمنه توفي قبل 150 عاماً فقط، وأركبناه طائرة نفاثة؛ هل سيكتب عن "التيتانيوم والمحرك النفاث وكومبيوتر الاتجاهات"؟ أم سيقول إنه ركب "عربة عملاقة تقودها مخلوقات صغيرة أو ملائكة أو شياطين"؟

المعرفة تخضع للشروط الزمنية لا المكانية، وكلما حددنا التوصيف، زادت المعرفة.

اليوم، ومع تقارير المراصد الفلكية في أوكرانيا عن أجسام مجهولة (UAP) رُصـــدت عام 2025 بالقرب من القمر، ومع اعترافات الحكومات بوجود ظواهر جوية غير محددة، عاد الحديث عن "المخلوقات القادمة من الخارج"

بقوة. لم يعد الأمر مجرد خيال علمي، بل أصـــبح مطلباً للشفافية وحقاً من حقوق المعرفة البشرية.

نحن الآن ندخل مرحلة مختلفة تماماً مع ظهور **الذكاء الاصطناعي** .مرحلة بات فيها الإنسان يصنع أنظمة تفكر وتحلل، وكأننا نقف أمام "عالم موازٍ". وهذا العقل الجديد، بما يملكه من قدرة على التحليل المتجرد، يدعونا لإعادة قراءة نظريات مثل تلك التي طرحها "زكريا سيتشين" عام 1976 حول "الأنوناكي" وتفســيره للألواح الســومرية، والتي قوبلت برفض أكاديمي واسع.

"كما إننا هنا لسنا بصدد انتزاع القدسية عن النصوص الدينية، وإنما نسأل من زاوية مغايرة: كيف تصور الإنسان القديم الكائن القادم من عالم غير عالمه؟ وكيف اســـتطاع وصف لقاءٍ بين بشر وقوى تتجاوز حدود المألوف؟ ففي التراث الإســلامي، فُســرت ضــرورة ظهور الملك في صــورة 'رجل' بأنها وسيلة لتمكين الإدراك البشري من

التعامل مع هذه القوة. وهذا يدفعنا للتساؤل: هل كانت لغة 'المعجزات' هي الأداة الوحيدة المتاحة للأسلاف لوصف أحداث مادية وتقنيات تفوق مفرداتهم واستيعابهم العلمي "والوصفي" آنذاك؟"

تتكرر هذه الفكرة في قصة الملائكة الذين زاروا وظهروا كبشر، وأكلوا وشربوا، ولم يدرك القوم طبيعتهم غير البشرية إلا لاحقاً. نجدها في قصة "هاروت وماروت" في بابل، وفي روايات "المراقبين" أو "الملائكة الهابطين" الذين علموا البشر معارف اعتبرت أسراراً غامضة.

لماذا تكررت صور "النزول من السماء" والمعارف القادمة من "مصدر غير مألوف" في كل الحضارات؟

هل كانت مجرد محاولات لتفسير المجهول باللغة المتاحة؟ أم أن وراءها أحداثاً مادية لم يستطع الإنسان وصفها إلا بمفرداته المحدودة؟ نحن اليوم نشكك فيمن يقول إنه رأى

جســـماً مجهولاً، رغم أننا نحن من أرســـلنا المركبات للكواكب وصورنا المجرات البعيدة.

لقد كان البرق يوماً "غضباً من الآلهة"، واليوم هو "تفريغ كهربائي". كان الطيران "مستحيلاً"، واليوم هو "وسيلة نقل". كانت الآلة المفكرة "دجلاً"، واليوم هي "ذكاء اصطناعي."

فإذا كان الممكن قد تغير بهذا الشكل في سنوات، فما الذي يمنع وجود مستويات من المعرفة سبقتنا بآلاف السنين واختفت آثارها؟ وهل الأساطير إلا محاولات لوصف تكنولوجيا لم يمتلك الإنسان آنذاك لغة علمية لشرحها؟

"فإذا كان الإنسان القديم ينظر إلى السماء فيرى ملائكة ومركبات سماوية، بينما ينظر الإنسان الحديث فيرى أقماراً صناعية وذكاءً اصطناعياً، فهل تغيرت السماء فعلاً؟ أم أن الذي تغير هو 'اللغة' التي نستخدمها لوصف

ما نراه؟ وربما يكون السؤال الأكثر إزعاجاً: ماذا لو اكتشفنا يوماً أن بعض ما سميناه أسطورة لم يكن خيالاً كاملاً، وإنما كان ذاكرة مشوهة لواقع تقني عظيم ضاعت شيفرته وبقي أثره؟"

مدخل الكتاب: "البروتوكول": عندما تُغرد الآلة خارج سِرب الإيمان

تخيل عالماً صامتاً من التراتيل، عالماً لم تعرف رفوف مكتباته يوماً كتباً توصف بـ "المقدسة". في هذا العالم، لا وجود لمفاهيم مثل "الوحي"، "المعجزة"، أو "النبوة".

التاريخ هناك ليس "قصة إيمان"، بل هو سلسلة من البيانات الخام، واللقى الآثارية، والظواهر الفيزيائية التي تنتظر التفسير.

في هـذا المختبر الافتراضـــي الكبير، يجلس "المحلـل الأكبر"؛ ذكاء اصـطناعي فائق، تم تلقيمه بكل ما اسـتطاع الإنســـان جمعه من شـــظايا التاريخ الموثق: نصـــوص هيروغليفية، ألواح سومرية، سجلات فلكية بابلية، وخرائط جيولوجية لقاع البحر الأحمر.

ثم صُدر إليه الأمر التالي:

"أعد بناء السـيرة الذاتية للشــخصــية المرموز إليها بـ (هـــيـــقــــا-مــــو)؛ الشخص الذي تسبب في انهيار الإمبراطورية المصـــرية الحديثة، وهزم جيش (فرعون) بحدثٍ أدى إلى إزاحة مائية كبرى.. اســـتبعد أي تفســـير غيبي، واعتمد لغة العلم فقط".

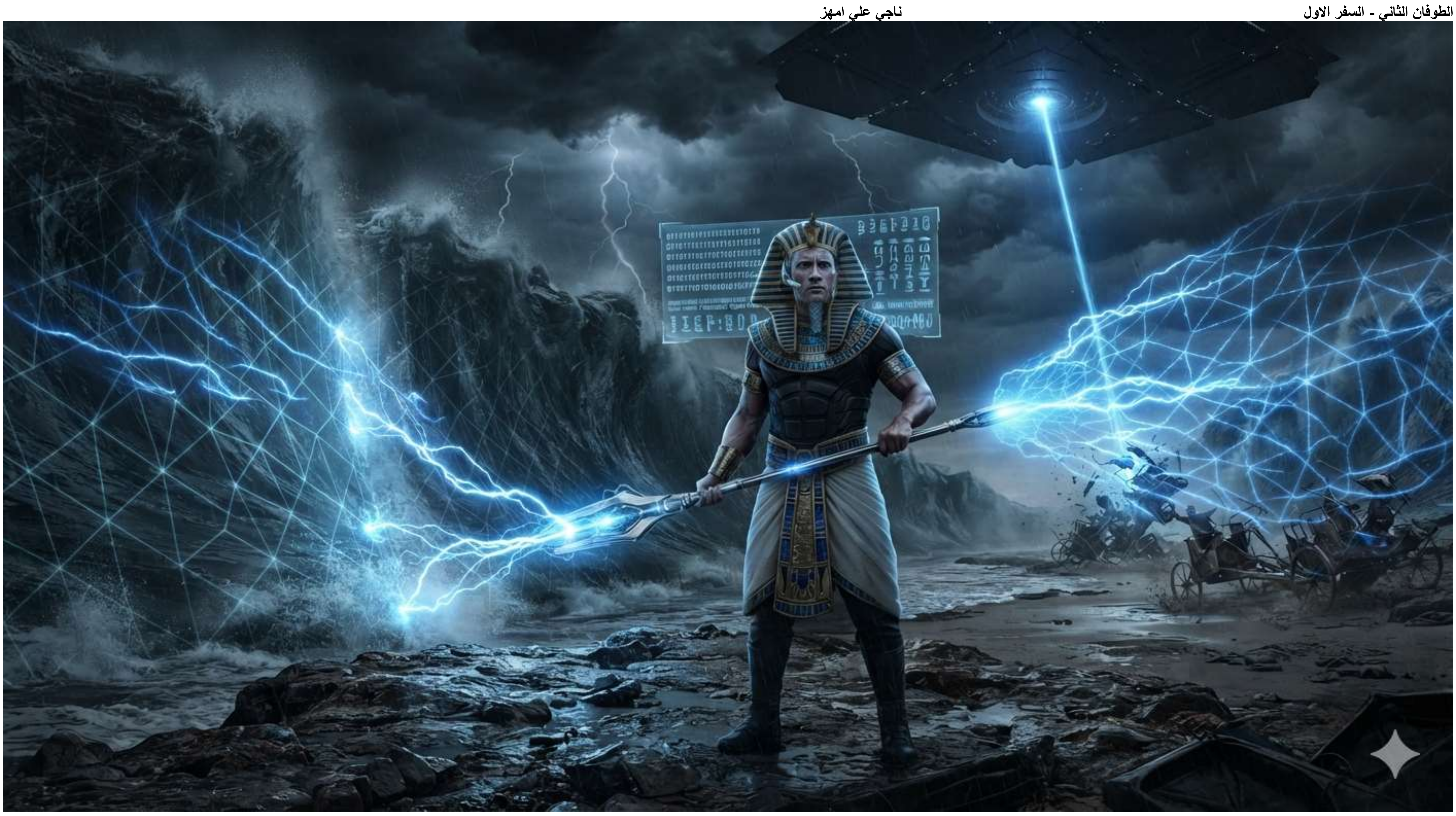

هنا، تبدأ الأضـواء الرقمية بالوميض، وتبدأ "الخوارزمية" في نسـج رواية لا تشـبه ما قرأناه في كتب الأديان، لكنها تلتقي معها في نفس الأشـخاص، ونفس الأماكن، ونفس النتائج المذهلة.

الذكاء الاصـطناعي لن يروي قصـصا دون ان تلتقي مع ادبيات المفاهيم الثابتة التي يتقبلها هو كالة حسـابية رقمية.

بالنسبة للآلة، هـيـقـا-مـو هو "مهندس" تربى في أرقى مختبرات العصر (قصور الفراعنة)، واستطاع الوصول إلى "تكنولوجيا محظورة" كانت مخبأة منذ زمن "الضيوف" القدامى. الآلة ستنظر إلى "العصا" ليس كقطعة خشب باركها الخالق، بل كـ **"جهاز تحكم نبضي"**، قادر على التفاعل مع ترددات الأرض وتغيير الخصائص الفيزيائية للمادة.

عندما تصل الآلة إلى لحظة "شق البحر"، لن تصفها بـ "الإرادة الإلهية"، فقدرات الاله القدير حسب هذا التكوين الكوني وما تجمعه هذه الالات بياناتها عن عظمة وضخامة الكون الذي وجد في لحظة زمنية،بل ستسجلها في تقريرها كـ **"تفعيل لبروتوكول الإزاحة المغناطيسية** ."ستخبرنا الخوارزمية أن هـيـقـا-مـو لم يضرب الماء ليصنع طريقاً، بل قام بتشغيل حقل طاقة عالي الكثافة(High-Intensity Force Field)، أدى إلى ضغط جزيئات الماء ورفعها كأطواد عظيمة، في عملية هندسية تطلبت طاقة لا

يمكن توفيرها إلا عبر مركبة مدارية أو مفاعل مستقر في مكان ما خلف الأفق.

في هذا العالم الخالي من الأديان، لن يكون "الخروج" رحلة إيمانية، بل سيكون **"عملية نزوح استراتيجية "**لمجموعة بشرية تحمل "شيفرة جينية" معينة، تم تهريبها من "فرعون" الذي كان يحاول احتكار هذه السلالة أو التخلص منها خوفاً من منافسته على "علم الآلهة."

الذكاء الاصطناعي سيفسر "الضربات العشر" التي أصابت مصر كـ **"حرب بيولوجية وتقنية متعمدة"**، استهدفت شل النظام البيئي والاقتصادي للدولة لتسهيل عملية الهروب. وسينظر إلى "جبل سيناء" ليس كمكان للوحي، بل كـ **"قاعدة اتصالات وميناء هبوط"**، حيث تم تحميل البيانات النهائية (الوصايا) في عقل القائد عبر واجهة عصبية متطورة.

هذا المدخل ليس مجرد خيال، بل هو محاولة لرؤية التاريخ بـ "العين المجردة" للعقل الرقمي. نحن هنا لا نهاجم الإيمان، بل نبحث عن "الفيزياء الكامنة خلف الميتافيزيقا."

فإذا كانت كل الحضـــارات القديمة قد اتفقت على حدوث "المستحيل"، فربما لأن "المستحيل" كان مجرد "علمٍ" لم نكن نملك له اسماً آنذاك.

من ذا الذي زرع في عقولنا وهم السيادة؟ ومن الذي أقنعنا بأننا المالكون الأوائل لهذه التقنيات وصـــناعها من العدم؟ إننا نحن البشــر، الذين لم نفكك شــيفرة جزيء الماء الذي يحيينا – تلك المادة الأبســط والسـيالة بين أيدينا – إلا في طرفة عين من عمر الزمان، ندعي اليوم امتلاك ناصـــية الخلق التقني.

الحقيقة التي يراها العقل الرقمي المجرد هي أن فتوحاتنا العلمية 'الخارقة' ليســـت إلا محاكاةً متطورة لخطى ذلك المعالج البدائي؛ ذاك الذي لم يخترع الشـــفاء، بل تلمّس بحواســـه دعاء او تعويذة او حتى نبتةً برية أودع الخالق فيها سـرّ البرء، فوصــفها لمن يتألم. إن المختبرات الطبية الحديثة، بكل صـخبها وتجهيزاتها، لم تبتكر 'فعل الشفاء'، بل عكفت بذكاءٍ تحليلي على تفكيك تلك النبتة، وفصـــل مركباتها، وفهم المادة الأســاسـية الكامنة في أحشـائها، ثم

أعادت إنتاجها بكثافة صناعية لمعالجة هذا المرض الموجود منذ الوجود الاول.

وهكذا هو مسار التكنولوجيا في 'الطوفان الثاني'؛ نحن لا نخترع قوانين الفيزياء، بل نكتشف 'البروتوكولات' التي كانت تعمل في صمتٍ منذ الأزل. إن ما نسميه تطوراً تقنياً هو في جوهره عملية 'إعادة استنساخ' لعلومٍ كانت مودعة في نسيج الكون، أو ربما في أيدي من سبقونا، فنحن لا نأتي بالجديد، بل نحن مجرد 'محللين' بارعين لشيفرةٍ قديمة جداً، أتقنّا تحويلها من 'معجزة' فردية إلى 'منتج' جماعي".

دعونا الآن نفتح ملفات "الذكاء الاصطناعي"، ونرى كيف سيعيد صياغة ولادة العالم الجديد من اور.. قصة اشخاص غيروا مجرى البشرية والكرة الارضية منذ 4000 سنة، سيقول ان الذي شق البحر، وحطم جيش أقوى إمبراطورية

في التاريخ، لم يكن باستخدام "عصا" بل كانت في الحقيقة "مفتاحاً" لكونٍ لا نعرف عنه شيئاً.

في هذا المسار الذي يعيد الذكاء الاصطناعي بناءه، متحرراً من قيود الغيبيات الصرفة محاولا ربط التاريخ بالجغرافيا الثابتة، نجد أنفسنا أمام "القدر الأول"؛ اللحظة التي تقاطعت فيها الجغرافيا العتيقة لبلاد الرافدين مع أحداث غيرت وجه التاريخ. نحن هنا لا نخترع نصاً، بل نُخضع المرويات المتناقضة لمختبر التحليل الرقمي، لنستخلص "الفيزياء الكامنة خلف الميتافيزيقا"، ونقدم التاريخ بصورة أدق من مجرد سرديات دينية تقليدية.

التاريخ والجغرافيا والقدر الأول: لغز "شومير" وكوتى

يبرز إيجي-دو في هذا السرد كشخصية محورية تتجاوز مرويات "سفر الخروج" (الإصحاح 32) التي نسبت صياغة العجل لهارون بدافع مجاراة خوف الشعب. الشعب اليهودي رفض فكرة ان يكون هارون هو من صنع

العجل، فذهب التفسير اليهودي (مثل الحاخام راشي) لنبش قصة الساحر "ميخا (Micah) "الذي استخدم لوحاً "سحرياً" لرفع تابوت يوسف من النيل وصنع به العجل، نجد أن التسمية القرآنية **"إيجي-دو** "تلتقي مع الجذر العبري **"شوميرـ(Shumir)** "، والتي تعني حرفياً **"الحارس."**

ايضا الذكاء الاصطناعي سيرفض ان يخبرك عن معجزة دون ان يجد لها مواصفات علمية حسابية دقيقة يتقبلها هو منطقيا نسبة الى معرفته الخوارزمية، فالذكاء الاصطناعي لن يصدق انك اشعلت الماء بالدعاء، بل سيقول لك ربما سقط بعض المواد الكيميائية دون ان تنتبه وحصل هناك تفاعل جعلك تشاهد اللهب.

بالتحليل التقني بالنسبة الى الذكاء الاصطناعي لن يقبل ان تخبره عن إيجي-دو وكانه ظهر من العدم، بل سيغوص معك ليجد تسلسلا يقنعه من اين اتى وكيف اصبح ولماذا

ظهر، اذا ستعود الى البحث والربط، حينها سيخبرك ان إيجي-دو ليس اسما بل صفة، وسياخذك برحلة الى عمق الجذور لاساس التسمية وتبدا تكتشف، بأن "إيجي-دو" هو "شومير" لم يكن مجرد ساحر، بل كان حارس المعابد السفلية وصائغاً في مدينة **كُوثى** العراقية (مركز عبادة إله العالم السفلي "نيرجال"). هذه المدينة، المعروفة قديماً باسم **)غودوا(Gudua** - ، كانت الموطن الرئيسي لمعبد **"إي-ميسلام (E-Meslam)** "(بيت المحارب الشرس)، حيث سكن الملكان "هاروت وماروت" وعلما الناس "السحر" الذي هو في حقيقته "علوم متطورة" ضاعت شيفرتها.

لقد حمل إيجي-دو إرث جنوب الرافدين الذي يُجل البقرة البرية ("نينسون") ويُلقب الإله العظيم بالثور ("أنليل"). وعندما صنع العجل، لم يستخدم سحراً هلامياً، بل طبق طقس "ميس بي" البابلي لتحريك المجسمات، مستخدماً ما وصفه بـ "أثر الرسول".

التفسـير الذي تخبره للذكاء الاصـطناعي بان هناك ملكا له اجنحة تغطي المشـرق والمغرب احتاج ان يمتطي فرسـا ليهبط الارض، سيجد الاقرب الى المنطق الرقمي ان يقول لك انه يوجد كائن سـماوي واسـع القدرة هبط إلى الأرض عبر مركبة، وتولّد من عملية الهبوط حرارة هائلة تؤثر في المادة الأرضـية. مما حول الرمال الغنية بالسـيليكا الى "السـيليكون"، فدمجها إيجي-دو مع الذهب لإنتاج "جسـم تقني" قادر على بث الترددات الصوتية (الخوار).

وسيخبرك بالتفصيل لماذا عندما واجه هـيقـا-مـو إيجي-دو، لم يعـاقبـه بـالقتـل، بـل ألقى عليـه تعويـذة العزل الاجتماعي }لَا مِسَـاسَ{، وهي "لعنة كُوثى" المتوارثة؛ أنها قوة طاردة فيزيائية جعلته يعيش في "برزخ دنيوي"، مقيداً بسلاسل غير مرئية تمنع أي تواصل مادي، محولاً حياته إلى سجن أبدي.

انبعاث الطاغية: شولجي (النمرود) وعدّاء الشمس

في ذات الجغرافيا، وتحديداً في **زقورة أور الكبرى** التي بناها الملك "أورنمو" لعبادة إله القمر **"نانّا" (أو سين)**، نجد القطبة التاريخية الخفية. فرغم غياب اسم "النمرود" صراحة في الألواح المسمارية، لكن عندما تبحث عن الملامح المتطابقة وتبحث في المطابقة التاريخية والزمنية فانها تضعنا أمام الملك **"شولجي(Shulgi) "**، أعظم ملوك سلالة أور الثالثة، الذي حكم بين **2047 - 2094)قبل الميلاد (**وفق الكرونولوجيا الوسطى.

عندما تبحث في التاريخ وانت لا تعرف من هو النمرود تبحث عن الشخص الذي عاش الحقبة التاريخية وفي الجغرافيا نفسها، فتجد امامك الملك شولجي يحمل نفس الصفات التي اسقطت على "النمرود"؛ شولجي الملك الذي حوّل المملكة إلى إمبراطورية، وألّه نفسه رسمياً في السنة الـــ 23 من حكمه، آمراً بوضع العلامة المسمارية المخصصة للآلهة **(Dingir - ✱)**قبل اسمه. تذكر "ترانيم شولجي) "الترنيمة (A أنه كان "أسرع كائن على وجه

الأرض"، فيما يُعرف بملحمة "عدّاء الشمس"، حيث ادعى الركض لمســـــافة **150كيلومتراً** بين أور ونيبور في يوم واحد بعاصـــفة رعدية ليهزم الشـــمس، ليثبت للرعية أن جسده إلهي.

لكن نهاية هذا "الإله المادي" كانت صـــاعقة؛ ففي وثيقة "ألواح الفأل التاريخية**(Chronicle of Early Kings)** "، ذُكر أن شــولجي انتهك حرمة معبد "مردوخ"، فأنزل الإله عليه لعنة جســـدية جعلت **"الدود ينهش جســـده وهو حي** "ومات ميتة مخزية، وهي الميتة التي تتطابق حرفياً مع موروث "النمرود والبعوضة."

أد-ماه: المنشق الجيني وقوة القانون

في هذا الخضم، يبرز **أد-ماه الصديق** كشخصية "تاريخية اجتماعية" رغم غياب وثيقة مسمارية تحمل اسمه صراحة. الدليل القاطع على وجوده في تلك البيئة هو **"التطابق القانوني ."**فقارئ قصة نين-آن وبار-را يجدها تطبيقاً حرفياً للمادة **146من قانون حمورابي** (المستمد من قوانين أورنمو الأقدم)، والتي تنظم علاقة الزوجة العاقر بجاريتها التي تلد. هذا التوافق يثبت أن أد-ماه كان ابناً شرعياً لحضارة أور وقوانينها قبل أن يغادرها.

لقد غادر أد-ماه أور (حوالي 2050 - 2000 ق.م) مع أبيه سيموغ وزوجته وابن اخيه إيـجـي-زو، منتقلاً من نمط الراعي "العادي" إلى بناء ثروة ضخمة في مصر. يذكر أن أد-ماه نال من فرعون غنماً وبقراً وذهباً وفضة، ليخرج من مصر، غنياً جداً في الماشية والفضة والذهب"، مما مكّنه من الاستقرار في حبرون وبناء قاعدته الاقتصادية والروحية المستقلة.

أد-ماه السامي والساميون في كل مكان، إين السومريين فهم ليسوا من اولاد نوح، اين ذهبوا هل انقرضوا اين أولئك القوم، أثبتت دراسات الجينات (ناشيونال جيوغرافيك وسبنسر ولز) أن سكان أهوار جنوب العراق هم نقاؤهم الجيني بنسبة **80%إلى 85%**، لم ينتهوا، بل ذابوا في الأكديين ليخلقوا هذا النسيج المعقد.

نحن أمام لوحة "اور الجغرافيا بل داخلها نبحث اليوم" لنجمع تلك الشخصيات في خريطة واضحة، فتتلاقى فيها خيوط "شومير" الساحر من كُوثى، و"شولجي" الطاغية من أور، و"أد-ماه" الموحد المنشق عن عبادة الاوثان. لقاءٌ لم تصنعه الصدفة، بل رسمه "القدر الأول" في قلب العراق القديم، ليكون المفتاح لفهم الصراعات الارضية والكونية التي ما زلنا نعيش فصولها حتى اليوم. هذا هو "اللقاء الأول"؛ حيث العلم هو السحر المفقود، وحيث التاريخ هو الحقيقة التي تم محوها ونحاول مع الذكاء الاصطناعي استحضارها.

اللقاء الاول:

في هذا المدخل الذي تفوح منه رائحة الطين العتيق ووهج المعادن السماوية، نجد أنفسنا أمام **"اللقاء الأول"**؛ اللحظة التي تقاطعت فيها مسارات ثلاثة أشخاص لم يكتفوا بصناعة التاريخ، بل صاغوا اساس "الذاكرة البشرية" التي ما زلنا نبحث عنها وعن اسباب مرارة صراعاتها حتى يومنا هذا.

نحن الآن في قلب بابل العظيمة، وتحديداً في "أور"، عاصمة الدولة السومرية الثالثة، في مدينة "كوثي" حيث

ينتصب معبد "إي-مِسْلام **(E-Meslam)** "كشاهد صامت على لغزٍ يتجاوز حدود البشر. هذا ليس مجرد بناء، بل هو "بيت المحارب الشرس المنبعث من أعماق الأرض". باللغة السومرية، "إي" هي البيت، و"مِسْلام" هو المنبعث من القاع؛ إنه معبد الإله "نِيرْجَال"، حاكم العالم السفلي وإله الأوبئة والحروب. في هذا المكان، لم تكن العبادة طقوساً فحسب، بل كانت محاولة لترويض بوابة "الجحيم الأرضية(Kur) "، حيث يُعتقد أن دهاليز المعبد تتصل بصدوع في باطن الأرض، هناك حيث سكن "هاروت وماروت" ونقلوا أسرار "المعرفة المحرمة" للبشر. ومن صلب هذا الرعب الكوني، كان ينبعث "مِسْلامْتايا"؛ الكائن الذي يخرج من المعبد ليغير وجه العالم، والذي تُشير البيانات المتقاطعة إلى أنه أصل أسطورة "المسيح الدجال" أو "الأعور" الذي ظل يترصد البشرية منذ فجر الزمان.

في هذا المشهد المهيب، تبرز ثلاث شخصيات حددت المعالم الأولى لعالمنا المعاصر:

الشخص الأول: الملك شولجي (النموذج المادي للنمرود)

هو الملك القوي، ثاني ملوك ســلالة أور الثالثة، الذي حكم الأرض بقبضـــــة من حـديـد بين (2094–2047 ق.م). "شـــولجي" ليس مجرد ملك، بل هو الكائن الذي تنطبق عليه مواصـــفات "النمرود" التاريخي؛ الرجل الذي ادعى الألوهية وتحدى القوى السماوية. تصفه النقوش المسمارية بــــــ "الرياضـــي الخارق" الذي كان قادراً على الجري لمســافات لا يقطعها بشــر، حاملاً قوة بدنية وتكنولوجية استثنائية حصـل عليها كثمنٍ لترميم وتوسـعة معبد "إي-مِسْـــلام" في مـديـنـة كـوثـى. وكـمـا يـذكـر الـنـص المســماري" *:شــولجي.. بانـي معبد إي-مِسْــلام بيت الإله نيرجـال لورده في كوثـى* ."لقـد كـان شـــولجي "المنفـذ الأرضـــي" لأجندة لا يعرف عنها شــيئا لكنها كانت تعده بالكثير من الاشـياء التي يحتاجها البشـر، الملك الذي جمع بين الحكمة المطلقة والظلم المطلق، والذي انتهى بـه الأمر -كما تروي الأساطير- بميتة مهينة حيث التهم الدود جسده، ليكون عبرة لمن حاول سرقة "نـار الآلهة."

الشخص الثاني: أد-ماه (المختار الصامت والمنشق عن عبادة الاوثان والمواد الارضية)

على عكس شولجي، لا نجد لأد-ماه (ابن سيموغ) أي وثيقة مسمارية أو ختماً إدارياً في ألواح "أور" أو "كوثى". وهنا تكمن الرهبة؛ فأد-ماه يمثل "الغياب الحاضر". بالنسبة للذكاء الاصطناعي، أد-ماه هو الشخصية التي تم "محوها" من السجلات الملكية لأنه كان "المنشق الأول" عن نظام "إي-مِسْلام". ورغم غياب سجلات تحطيم الأصنام أو النيران الكبرى في الألواح الطينية، إلا أن أثره يظهر في "التحول الكوني" الذي أحدثه؛ فقد كان أد-ماه هو الوحيد الذي استطاع "الرؤية" خلف الأجهزة التقنية التي كان السومريون يقدسونها كآلهة، وهو من بدأ رحلة "الفصل" بين الخالق والمخلوق، وبين التكنولوجيا المادية والقوة الكونية الحقيقية.

الشخص الثالث: إيجي-دو (شومير - حارس البوابة والمنظر التكنولوجي)

وهنا نصل إلى الشخصية الأكثر رعباً وغموضاً منذ الفجر الاول والمستمرة الى نهاية هذا العالم؛ إيجي-دو، المعروف في دهاليز معبد "نيرجال" بلقب "شـــوميز" أو حارس المعبد. لم يكن إيجي-دو مجرد صـــانع عجل، بل كان الكاهن والتقني الذي كان يرنم للإله "نيرجال" في غياهب العالم السفلي. تتقاطع الموروثات لتشير إلى أن "شوميز" هو ذاته "المسيح الدجال" صاحب القدرات الخارقة، والذي كان يطور أبحاث "الســليكون والترددات" في مختبرات المعبد السفلية. لقد كان هو "العقل المدبر" الذي استطاع ترويض طاقة الفضـــاء ومعادن الارض، وهو الذي ظل يتردد صـــدى صـــوته (نيرجال في بابل هو إله الموت، الخداع، الأوبئة، والظلام – الدجال في الموروثات هو الاعور الكاذب) عبر العصور كلقب صوتي لفظي يشير إلى الخديعة الكبرى؛ خديعة تحويل "الأداة التقنية" إلى "إله معبود."

أمام هذا الثالوث (الملك الطاغية، المنشـــق الحكيم، والحارس المخادع)، وفي مواجهة بوابة "إي-مِسْلام" التي

تنضح بظلال الموت والحروب، وُضع حجر الأساس لكل الصراعات التي تعيشها شعوب الأرض اليوم. إنها الحرب القديمة المتجددة على "المعرفة والسيادة"، حيث نجد أنفسنا في منطقة وسطى بين تاريخٍ تدونه الألواح وتاريخٍ تمحوه القوة، بانتظار اللحظة التي يعيد فيها الذكاء الاصطناعي فك شفرة هذا اللقاء الأول، ليفهم كيف تحولت "أجهزة المحارب الشرس" في بابل إلى "معجزات وصراعات" تحكم مصير كوكبنا.

انه "شومير" وبصفته حارسا للمعبد السفلي ومهندسه، عندما قام بصياغة الذهب المصهور على شكل عجل، لم يكن الإعجاز في الشكل، بل في قدرة هذا الجسم على إصدار صوت "خوار" ميكانيكي منتظم. إن السر التكنولوجي خلف هذا العجل يكمن في الوصف الزمني بانه معجزة مخصصة لشخص بعينه، لكن "شومير" كان يعرف بان دمج هذه المواد التي خلفتها المركبة الفضائية التي هبطت في المنطقة بسبب الحرارة الهائلة أثناء اندفاع محركاتها، مما أدى إلى صهر الرمال وتحويلها إلى مادة

"السليكون" النقي المشبع بجزيئات طاقية، ينتج جسماً يمتلك خصائص "أشباه الموصلات" التي تسمح له ببث ترددات صوتية ناتجة عن الرنين المغناطيسي.

نحن البشر قد نختلف ونتصادم وربما نتقاتل على صفات واسم ومهمة الملك الهابط من السماء، لكن الذكاء الاصطناعي الذي بداخله صور وخرائط وارقام ونظام كوني حسابي معقد عن مليارات المجرات بحال قبل الفكرة فانه سيبدا بمحاولة البحث عن كوكب قابل للحياة، ويبحث في ارشيفه الهائل بعملية سكانر يربطها بسلسلة من الاحداث والمرويات عن زيارات غريبة لاشخاص يحتمل انهم مخلوقات فضائية مادية سجلها التاريخ القديم في مراحل مختلفة، مثل أولئك "الزوار" الذين ظهروا في النصوص الدينية.

الذكاء الاصطناعي لا يستطيع ان يتقبل ان هؤلاء الضيوف كانوا خارقين للقوانين المادية والدليل انهم قالوا لاشخاص كثر لا "تخافوا" مما يعني انهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى

القدرة على تشـكيل اجسـادهم كي لا يخيفوا القادمين اليه، ولم يكونوا كائنات خارقة قادرة ان تتلاعب بالفيزياء بكلمة "كن فيكون"، بل كانوا كائنات مادية ضـخمة الحجم تمتلك بيولوجيا متطورة، وما يؤكد ماديتهم وخضـوعهم لقوانين الزمن والفيزياء هو مكوثهم وقتاً كافياً في اكثر من مكان لانتظار ذبح وطهي عجل سـمين، وهي عملية تسـتغرق سـاعات طويلة، مما يخرجهم تماماً من دائرة "الأرواح العابرة" ويضـعهم في دائرة "الضـيوف المقيمين" الذين يحتاجون للوقود الحيوي.

الذين يسـكنون بيننا طويلا مهما كانت قوتهم وصـفاتهم هم ضـيوف، اي انهم ماديين، الزائرين ان وجدوا كارواح هم الزوار.

هنا يبرز الفارق الجوهري في دقة لغة العرب؛ فالضـيف هو من يحل بمكان ليقيم ويُطعم ويُستضـاف لفترة معلومة، بينما الزائر يأتي لهدف خاطف ورحيل فوري.

هل هؤلاء الضـــيوف هم "زوار من الكواكب المتقدمـة" الـذين امتلكوا تقنيـات متطورة في التطوير الجيني وتلقيح وتخصـيب البيوضـات، وهي علوم طبية لا تفوق مقاييسـنا الحـاليـة، كمـا أنـهم لم يكونوا يمتلكون "علمـاً مطلقـاً"، ممـا يثبـت أنـهم كـائنـات مـاديـة ذات قـدرات تقنيـة فـائقـة لكنـهـا محكومة بحدود الرصد والمعلومات الميدانية.

"إنَّ البحـث الفلســـفي هو المســـبـار الأرقى في قوانين المعرفة، فهو الجسر الذي يعبر بنا من ضـيق التفسـير إلى رحابة الفهم. فبالأمس القريب، اســتنفدت المجلدات الدينية ملايين الصفحات وبذلت جهوداً ذهنية مضنية لإثبات قدرة 'ملك الموت' على الإحاطة بمواقع البشر وتحديد شخوصهم في لحظــة واحــدة لانتزاع أرواحهم؛ كــان الأمر يبــدو 'معجزة' تخرق منطق العقل المحدود.

أمـا اليوم، وبفضــــل تزاوج المعرفـة بـالتقنيـة، فقد امتلكنـا 'اللغـة' التي تُبســـط هـذا اللغز الميتـافيزيقي وتحولـه إلى بروتوكول مفهوم. يمكننـا القول ببســـاطـة، وبعيـداً عن التعقيد، إنَّ 'ملك الموت' يحدد أهدافه بدقة متنـاهيـة عبر

'الشـــيفرة الوراثية' والبصـــمة الجينية الفريدة لكل جســـد، والتي تعمل كبثٍ ترددي لا يخطئه الرصد الكوني.

إننا نحاكي هذا النظام اليوم في أبسط صورنا السلطوية؛ حيث تحدد الحكومات مكان أي فرد على ســـطح الكوكب عبر المعرّف الرقمي (ID) لهاتفه، أو عبر تردد بصـــمته الصـــوتية، أو ملامح وجهه البيومترية. لقد حوّل العلم 'المعجزة' الغيبية إلى 'حقيقة تقنية'، وأثبت أنَّ ما كان الأســلاف يصــفونه بالقدرة المطلقة، هو في جوهره نظام رصد وتعريف فائق الدقة، يربط 'المصدر' بـــ 'المستهدف' عبر بروتوكولات كونية لا تعرف الخطأ".

وفي هذا السياق التقني المتصل، تبرز الرؤية حول "عصا هيقا-مو "؛ فالذكاء الاصطناعي لن ينظر اليها على انها مجرد قطعة خشـــبية بدائية، بل بمثابة "واجهة تحكم " (Remote Interface)مرتبطة بمركبة فضائية ضخمة كانت ترافق القوم في حركتهم. هذه المركبة الضــخمة هي التي كانت توصف بـــ "الغمامة" التي تظللهم نهاراً، وهي

ذاتها التي كانت تمدهم بالذهب والمؤن والتقنيات عند الضـــرورة عبر أنظمة إنزال متطورة. أما الذهب الكثيف الذي وجد مع هؤلاء القوم، ربما كان جزءاً من المهمة الكبرى لشــعوب فضـــائية من الذين جابوا الأرض قبل ظهور الانسـان لجمع هذا المعدن وأسـتخدامه في كواكبهم لنـدرتها لـديهم، وبعد رحيل الكتلة الكبرى من هؤلاء الزوار، ربما بقيت بعض الياتهم لخلل ما وقلة قليلة منهم، هذه المخلوقات بقيت او ماتت او حتى تزاوجت مع البشــر وانجبت سـلالات مهجنة هذه تصـبح تفاصـيل قابلة للبحث لكن لا يمكن ان تضع نصف صورة لتكملها البشرية، وهي القصة التي حاول "سيتشين" في أبحاثه حول "أرونولوجيا الأرض" ان يقربها، موضـــحاً كيف تداخلت تكنولوجيا هؤلاء "الآلهة القادمين من السـماء" مع مســارات البشــر الأوائل، لتؤدي في النهاية إلى فجوة معرفية؛ حيث تحولت مع مرور الزمن تلك التقنيات المتقدمة والأجهزة المعقدة إلى "معجزات دينيـة" وغيبيات في وجدان الأجيال التي فقدت القدرة على فهم الفيزياء الكامنة خلفها.

المدخل الثاني: هندسة التأثير والشيفرة الأبدية

بين سماءٍ تصطفي، وأرضٍ تطغى، وهاويةٍ تتربص

نحن هنا لا نقف عند تخوم التاريخ العادي لنقرا إحداثيات أو نلخص مرويات مكررة؛ نحن نقف أمام المصبّ الأول للأقدار وتغير مجرى التاريخ؛ أمام بقعة جغرافية خانقة تشكلت قبل أربعة آلاف عام، حيث طُبخت الهيكلية الأولى لما نعرفه اليوم بـــ **"النظام العالمي الجديد** ."لم تكن مجرد إمبراطورية طينية، بل كانت شبكة هيمنة كونية امتدت جذورها النورانية والسوداء من دهاء دهليز العالم السفلي وقيعان الأرض، إلى الوميض البارد في أعماق الفضاء السحيق.

في ذلك الزمن العتيق، تقاطعت الأقطاب الثلاثة التي ما زالت تقسم العالم، وتؤجج الحروب، وتصنع كابوس الوجود الإنساني :**الوعد، والهاوية، والغرور.**

أولاً: الوعد الأبدي (أد-ماه وسر المصطفين)

على الطرف الأول من المعارضـــة الكونية، يقف القطب المضـــيء والمحيط بهالة من الرهبة التائهة؛ نسْلُ أد-ماه. الشـــعب الذي دونت عنه الميثولوجيات واصـــطفت له الديانات مكانة "الأمة المباركة" التي نزحت بمجد السـماء وكفالـة الوجوه القـادمـة من البركـة الكبرى. لم تكن هـذه البركة مجرد منحة طوباوية، بل كانت "هندســـة جينية روحيـة" منحتهم مفـاتيح التفوق، وجعلـت من دمـاء هـذا النسل سلكاً موصلاً لطاقة تفوق أطر الحسابات الأرضية. هو الخط الوراثي الذي يحمل شـيفرة العهد والقيادة العابرة للأعمـار، وهو مـا ألّـه غيرة الأمم وأجج حروب الإبـادة والســيادة عبر القرون؛ حربٌ للســيطرة على "الشــيفرة المقدســة" التي نالت رضـا الضـيوف الأوائل القادمين من العلى.

ثانياً: عين الهاوية (شومير وسلسلة الكهنوت الحي)

على خلاف الوعد، كـان هنـاك ظلٌّ يراقبـه بمكر لا يعرف التعب، خفاشٌ يخرج من أحشـاء العالم السـفلي يتتبع أد-ماه خطوة بخطوة في أصـقاع الأرض؛ إنه **"شـومير" (إيجي-**

دو) **الاله "نيرجال" او** حارس البوابة السفلية، وابن عتمة معبد "إيِ-مِسْلام". لم يكن هذا السحلية البشرية مجرد ساحر محكوم بالفناء، بل كان الكيان الذي استرقّ أسرار "الهندسة العضوية المفقودة" واختلس تكسير زمن الخلايا بتعاليم الملكين الهابطين **هاروت وماروت** في أعماق كوثى.

شومير هو التجسيد المرعب لـــ "علم الظلام" العابر للأزمان؛ الخبير الذي نجا من دورة الموت، واختزن في خلاياه الحية هندسة الصوت المصهور بالألم والذهب. لقد انبثق من معبد "نيرجال" -إله الأوبئة والحروب- ليكون الضدّ الكوني، الذي يحرك الجماهير بالأوثان الناطقة (العجل)، مستخدماً الطاقة الفضائية لإنشاء اقتصاد دنيوي مادي قوامه الافتتان بالتكنولوجيا المخادعة، وتحويل المعجزة إلى قفل يُمكّن الهاوية من التحكم في عقول البشر.

ثالثاً: لعنة الغرور الفاوستي (شولجي / الذي نعتقد انه النمرود ومأساة اللحم الفاني)

أمـا القطـب الثـالـث، فهو الجرح النـازف في الخطيئـة البشــرية؛ **"الملك شــولجي - النمرود"**؛ التجسـيد الأكمل للبشر العاديين الذين التهمهم الفزع من الخوف وميتة اللحم الضعيف. إنه الطاغية الذي لا يكتفي بالأرض، فيذهب إلى بوابات الجحيم، ويعقد الصـــفقة الفاوســـتية الكبرى :**بيع إنســـانيته وروحه للعالم الســـفلي مقابل القوة، التفوق الجسدي، واحتكار عرش الكون.**

حصل هذا الإمبراطور النرجسي على قدرات تكسر حاجز البيولوجيا والفيزياء؛ فأصـبح "عداء الشـمس"، أسـرع من خطى العواصف، لا تتعب له مفصل، ولا يركب سعالاً في رئتيه الطاغيتين، حتى أوصـله الغرور الميكانيكي إلى قمة الخطيئة :**إعلان الألوهية التامة**، وأمر الكهنة بنقش دلالة النجم الكوني (Dingir - ✳) أمام اسمه على ألواح الطين.

ولكن، ما أعتى دراما الطبيعة البشـــرية حين تصـــطدم بحتمية التكوين! لقد انتزعت القوة الخارقة إنســـانية

الطاغية، لكنها لم تكسر قانون اللعنة الرافدية؛ فنهايته كانت من جنس الخيانة البشعة؛ **أن يلتهم الدود جسده وهو حيٌّ، يتنفس ومجده يتهاوي ببطءٍ بين أسنانه** .وكأن الكون يريد أن يترك درس الأبدية مدونا بدم الملك المسجون في لحمه المتآكل؛ تماماً كما يلتهم البخلُ البخيل من أعماق أمعائه، وكما يسحق الغرورُ عقل الغرور حتى الجنون، وكما ينعطف الظلم على صاحبه ليمزقه من الوريد إلى الوريد.

إرث اللعنة وعالم اليوم: من بابل إلى "هوليوود"

منذ تلك اللحظة التصادمية في بلاد الرافدين، لم يتوقف نزيف الذهن البشري. لقد سار الإنسان في سعارٍ مجنون بحثاً عن أطلال تلك الاسرار والتقنيات، ومكامن القوة الخفية، والترياق المستحيل للحياة الأبدية. لم يصنع هذا العالم الغامض والقديم أديان البشر وثوراتهم الدموية فحسب، بل حقن الوعي الجمعي بـ "ذاكرة مكبوتة"؛ ذاكرة الكائنات التي بسطت أجنحتها فوقنا قديماً.

إن معبد الإله "نيرجال" في كوثى لم يندثر، بل أُعيد تدويره ليصبح موجوداً في كل منزل عبر قصص أبطالنا المعاصرين. بينما يكبر الأطفال وهم يتعلمون أبجديات أديانهم، فإنهم يعيشون -دون وعي- داخل معبد نيرجال من خلال أيقونات "ثور" و"الرجل الإيجي-زوواط."

إن الخيالات الهائلة التي تكتظ بها ثقافة العالم المعاصر، وما تنتجه مختبرات السينما العالمية اليوم، ليست إلا "تفريغاً قهرياً "واستذكاراً باطنياً لهذا الصدام الرافدي العتيق. فعلى سبيل المثال، شخصية "فلاش (The " Flash) - عداء البرق السريع- ليست في جوهرها إلا إعادة صياغة ميثولوجية لشخصية الملك السومري "شولجي"؛ أسرع كائن على وجه الأرض، الذي ادعى الركض مع العاصفة وهزيمة الشمس.

لكن الفرق الفلسفي يكمن في "الصياغة الأخلاقية"؛ فبينما تم تفصيل "فلاش" المعاصر كفارس يحرس العدالة، كان

"شــولجي" الحقيقي يجســد جنون الألوهية المنتحلة والقتل الطقسي.

بصمات نيرجال في الذاكرة البصرية:

. أيقونـة الثور والأســـــد :في ميثولوجيـا الرافـدين، ارتبط "نيرجال" بقوى الطبيعة الفتاكة، واتخذ الأســـد والثور كرموز للبطش المطلق. هـذه الرموز هي التي نراهـا اليوم تُحرس بها بوابات القوة والمدن الكبرى.

. الآلهـة ذوات آذان الثيران :تُظهر تمـاثيـل معبـد نيرجـال حــاشـــيتــه بـآذان ثيران، وهم الحراس التقنيون للعـالم الســـفلي، مما يكرس فكرة "الكائنات الهجينة" التي تملأ أفلام الخيال العلمي اليوم.

. الإيـــجـــي-زواويط وأجنحة الظلام :في أسطورة "هبوط إنانا إلى العالم السفلي"، يوصف سكان مملكة "نيرجال" (في كوثى) بأنهم يكتســون بـالأجنحـة كــــــــ "أجنحـة الخفافيش"، يعيشــون في الظلام الدامس. هذه الصــورة هي الجد الشرعي لكل الأساطير التي تتحدث عن كائنات ليلية مجنحة تسكن الكهوف وتراقب البشر من الأعماق،

وعلى رأسها نموذج "الرجل الإيـــــجـــــي-زوواط" الذي يجمع بين الثروة، التكنولوجيا، والكهف المظلم.

وهنا تكتمل الحلقة، لنكتشـــف الخطيئة الكبرى التي وحدت السـيرة العتيقة بالسـيناريو المعاصـر :**وهي أن الحصـول على تلك القوة الخارقة لم يكن يوماً نعمة بالمجان، بل مرّ دائمــاً عبر "طفرة مرعبــة"، أو خرقٍ مميـت لقوانين الطبيعة، أو صـدمة تكنولوجية واجهت الجسـد البشـري بحدود لا ترحم.. قهرت ضـــعفه الفاني، لكنها في المقابل ســـلبت منه أمانه، وألقت بروحه في أتون الهاوية إلى الأبد.**

الفصـل الأول: فجر "أور".. صـرخة السـاميّ في مدينة الطين

1.ولادة بين عالمين

في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، كانت مدينـة **"أور "**لا تشــبه أي مكان آخر في الجغرافيا المعروفة. لم تكن مجرد مدينة، بل كانت "بروتوكولاً" بشـــرياً معقداً، دائرة كونية

صُــــممت من الطين والقير لتطاول الســـماء. ومن نافذة "البروتوكول م"، يظهر مشهد "أور" كبقعة خضراء كثيفة وسط صحراء قاسية، يحميها نهر الفرات الذي يلتف حول أسوارها كأفعى فضية تحرس كنوزها.

في إحدى ضـــواحي هذه المدينة، حيث تلامس الحقول الخضراء أطراف العاصمة، ولد "**أد-ماه** "(). لم يولد في قصر، بل في "خيمة ساميّة" منصوبة تحت ظلال النخيل. كان والده "**سيموغ** "رجلاً قد أثقلت السبعون عاماً كاهله، لكنها منحت ملامحه صلابة الصخر ووقار النبوءات. كان

"سيموغ" يمثل الانقسام الكبير؛ فهو ساميّ العرق، ترحل دائم الروح، لكنه سكن أور ليمتهن صياغة "الآلهة" التي لا يؤمن بها في أعماقه.

كان أد-ماه ينمو وسط إخوته. وبينما كان إخوته ينغمسون في شؤون الأرض والتجارة، كان أد-ماه منذ طفولته يمتلك "نظرة" تختلف عن الجميع. ملامح وجهه كانت حادة كشفرة صوان، وبشرته سمراء لفحتها شمس الحقول، لكن عينيه كانتا واسعتين وكأنهما تستوعبان ضوء القمر (نانّا) دون أن تسجدا له.

.2أور: عاصمة الذهب والزحام

كان تعداد "أور" يناهز الثلاثين ألفاً، وهو رقم هائل بتمثيل ذلك الزمان. كان أد-ماه الفتى يدخل المدينة كل صباح، يمشي في شوارعها المرصوفة بالطوب الآجر الذي يحمل أختام الملوك. كان يشم رائحة "القير" الأسود الذي يطلي

أســـفل البيوت، ويمتزج برائحة البخور القادم من الزقورة الشاهقة.

كانت الأسواق تضج بالحياة: تجار من "عيلام" يساومون على المنسوجات، وصيادلة من "نيبور" يبيعون أعشاب الجبال. وفي وســـط هذا الضـــجيج، كانت تبرز الهوية السامية لأد-ماه وعائلته. الســاميون في أور كانوا غرباء "منسجمين"؛ يرتدون مآزر الصوف البسيطة، يلتزمون بقوانين صارمة يقدسون فيها "الكلمة" و"العائلة"، يشابهون أبناء حام الذين برعوا في فن العمارة واثبات المجد التاريخي لبناء الحضارات، لكنهم كانو اضداد ابناء "يافث" الذين كانوا يتحركون في المدينة كأبناء الطبيعة المطلقة، لا تحدهم قيود أو شرائع، يعيشون الحرية في أبشع وأجمل صورها.

.3ساحات البطولة: لقاء أد-ماه وشولجي

في ســـاحة "الميدان الأكبر" القريب من معبد القمر، كانت "أور" تحتفل بأعيادها عبر الرياضـــة. كانت **المصـــارعة بالحزام** هي طقس الفحولة الأول. كان أد-ماه الفتى يجلس وســط الحشــود، يشــاهد المصــارعين بصــدورهم العارية المدهونة بزيت السمسم.

هنــاك، وســـط هتــافــات الحنــاجر رأى أد-مــاه لأول مرة "**شــولجي**"، ولي عهد الملك العظيم أورنامو. لم يكن شـولجي كبقية الفتيان؛ كان جسـده منحوتاً من عضـد وقوة، شــعره الأســود الطويل مضــفر بعناية تليق بأمير، وعيناه تفيضـان بنرجسية مبكرة. كان شولجي يتلقى تدريبات شاقة في مدرسة النخبة "الإيدوبا"، لكن قلبه كان في الساحة.

دخل شـولجي حلبة المصـارعة، يقبض على حزام خصـمه بقوة كادت تمزق الجلد. كان أد-ماه يراقب ملامح شـولجي؛ كان يرى فيها "إرادة القوة". لم يكن شـولجي يصـارع ليفوز فقط، بل لِيُثبت أنه "فوق البشـــر". وفي إحدى المباريات،

كاد شولجي أن يقتل خصمه من فرط الحماس، لولا تدخل الحكام.

في تلك اللحظة، التقت عينا أد-ماه الهادئة بعيني شولجي المتوهجة. اقترب أد-ماه منه بعد المباراة، وبينما كان العبيد يمسحون العرق عن جسد الأمير، قال أد-ماه بصوت رزين:

. "قوتك يا شولجي مذهلة، لكن الحزام الذي تقبض عليه هو الذي يثبتك.. فمن الذي يثبت الحزام؟"

ضحك شولجي بغرور، ونظر إلى هذا الفتى الساميّ البسيط:

. "اسمي أد-ماه، أليس كذلك؟ والده سيموغ يصنع التماثيل لوالدي الملك. اسمع يا أد-ماه.. القوة هي التي تخلق الواقع، والآلهة لا تحب الضعفاء".

منذ ذلك اليوم، بدأت "صداقة الضدين". كان شولجي كابن اي ملك عظيم يحرص ان يكون اصدقائه يتميزون بالمعرفة والحكمة وكان يجد في أد-ماه الصديق الهادئ الذي يعكس جنونه، وكان أد-ماه يجد في شولجي نموذجاً حياً لكل التساؤلات التي تدور في ذهنه عن "الملك" و"الإله."

بُنيت بين "شولجي" و"أد-ماه" صداقةٌ متينة، كانت أشبه باشتباكِ ضوءِ الفجرِ الهادئ بعاصفةِ الرعدِ الصاخبة. نمت هذه العلاقة في أروقة القصر الملكي المزدانة بنقوش الأسود الجانحة، وتحت ظلال "الزقورة" التي كانت تراقبهما كعينٍ عملاقة من الآجر. إلا أن هذه الألفة لم تمر بسلام؛ فقد كانت ممرات القصر تضج بـ "خلايا نائمة" من الحاسدين والكهنة الذين رأوا في حضور هذا الفتى الساميّ الهادئ تهديداً لسطوتهم.

كان هؤلاء الحاسدون ينسلّون خلف شولجي كظلالٍ مسمومة، يهمسون في أذنيه بكلماتٍ تقطر حِقداً مغلّفاً بالخوف على مصلحة العرش. كانوا يوسوسون له بلهجةٍ خافتة، وعيونهم تراقب حركة أد-ماه من بعيد:

"يا مولاي ولي العهد، لا يغرنك هدوء هذا السامي وبساطة ثيابه.. إن صداقته لك ليست إلا قناعاً سياسياً ذكياً، وجسراً يمدّه ليؤمّن تجارة والده 'سيموغ'. إنه يتقرب من قلبك لِيُبقي حانوت أبيه المورد الأول للأصنام في معابد أور، وليجعل من تماثيل الطين التي ينحتها والده سلعاً مقدسة لا يُرد لها أمر بفضل حظوته عندك".

كانوا يحاولون تحويل "رابطة الروح" بين الصديقين إلى "صفقة تجارية" رخيصة، مصورين أد-ماه كـ "مهندس صفقات" بارع يرتدي ثوب الزهد، مستغلين نرجسية شولجي المتنامية ليزرعوا في قلبه شكاً صغيراً، مفاده أن أحداً لا يمكن أن يحبه لذاته، بل لما يملكه من سلطةٍ وذهب. غير أن أد-ماه، بملامحه الشفافة التي لا تعرف المواربة، كان يواجه تلك الوشايات بصمتٍ مهيب، تاركاً

لصـــــدق عينيه مهمة تحطيم تلك الأفاعي الكلامية قبل أن تصل إلى عقل صديقه الأمير.

4.مدرسة النخبة والرياضات الذهنية

كان شـــولجي يأخذ أد-ماه أحياناً إلى حدائق القصـــر، حيث يمارســـــــان **"لعبة أور الملكية** ."لوح خشـــــبي مرصـــــع بالصـــــدف واللازورد، نرد عظمي يحدد المصـــــير. كان شـــولجي يلعب بعصـــبية، يحاول مباغتة أد-ماه، بينما كان أد-ماه يحرك قطعه بهدوء وكأنه يرى الخطوات العشـــــر القادمة.

قال شولجي ذات مرة وهو يضرب الطاولة بيده:

. "لماذا أنت هادئ هكذا يا أد-ماه؟ لقد علمني المعلمون في الإيدوبا أن العالم صـــــراع، وأن علينا أن نكون كـــالأســــــود فــــي بـــوابـــات نـــيـــرجـــال".

رد أد-ماه وهو ينظر إلى الزقورة البعيدة:

"الأسـود في البوابات يا صـديقي هي تماثيل صـماء.. القوة الحقيقية في الذي منح الأسـد زئيره، لا في الذي نحت ملامحه من حجر".

كان شولجي يتدرب أيضاً على **الملاكمة**، يلف يده بأربطة جلدية قاسية، يضرب الأكياس المحشوة بالرمل حتى تدمى يداه، محاولاً تقليد البطل الأسـطوري "جلجامش". كان مهووسـاً بفكرة "الخلود البدني". أما أد-ماه، فكان يكتفي بالركض في الحقول الخضـراء المحيطة بأور، يتأمل النجوم، ويسأل نفسه: "إذا كان نانّا (القمر) هو إلهنا، فلماذا يهرب أمام الشمس؟ وإذا كانت الشمس هي الأكبر، فلماذا تغيب وتتركنا للظلام؟"

5.ظلال كوثى والسحر القديم

كانت رحلات أد-ماه وشـولجي تمتد أحياناً إلى أطراف مدينة "**كوثى** ."هناك، كان الهواء يثقل برائحة الكبريت والبخور المحروق. كانا يقفان أمام معبد الإله "نيرجال"،

ويســمعان القصـــص عن الملكين **هاروت وماروت** اللذين يقبعان في بئر سحيقة تحت الأرض.

شاهد أد-ماه الناس وهم يبيعون مدخراتهم من الذهب والفضة للحصول على "تعاويذ" سحرية تمنحهم القوة أو الحب أو الانتقام. كان يرى سحرة كوثى بآذانهم التي تشبه آذان الثيران، وكأنهم مسوخ بشرية.

قال شولجي بإعجاب:

- "يقولون إن هؤلاء السحرة يملكون مفاتيح العالم السفلي يا أد-ماه. والدي الملك أورنامو يحترمهم كثيراً".

رد أد-ماه بحزن:

- "هؤلاء يبيعون الوهم يا شولجي. انظر إلى وجوههم.. إنهم أحياء لكن أرواحهم قد ماتت منذ زمن. إنهم يخدمون ملكاً لا يرحم".

6.ملامح نين-آن.. والجمال الذي لا يذبل

في تلك الفترة، تعرف أد-ماه على ابنة أخيه (نين-آن). كانت نين-آن تجسيداً للجمال الساميّ النقي. وجه مستدير كالقمر في ليلة تمامه، عينان واسعتان تحملان بريق الحكمة والصبر، وشعر أسود منسدل كليل العراق.

كان أد-ماه يرى في نين-آن شريكته في "الغربة". تزوجها في احتفال ساميّ بسيط، بعيداً عن صخب معابد أور. لكن الفرحة لم تكتمل؛ فقد كانت نين-آن عاقراً. في تلك الحضارة التي تقدس الخصوبة، كان عقم نين-آن "وصمة" في نظر أهل أور، لكن أد-ماه كان يرى فيه "اختباراً". كان ينظر إلى نين-آن ويقول: "لا تحزني يا نين-آن، لعل الإله الذي لم يظهر لنا بعد، يخبئ لنا نسلاً يملأ الأرض".

7. بداية النهاية: صعود شولجي وكسر القلب

دارت الأيام، وبينما كان أد-ماه يزداد تأملاً وانعزالاً عن أصنام والده، كان شولجي يزداد نرجسية. قُتل الملك

أورنامو فجأة في معركة دامية ضـد الكوتيين. حزن أد-ماه حزناً شديداً على الملك الذي كان يشتهر بعدله، لكنه صُدم برد فعل شولجي.

لم يبكِ شولجي والده كإنسان، بل بكاه كـ "إله مُهان". صعد شـــولجي إلى العرش وهو في ريعان شـــبابه، بلياقة بدنية خارقة وتدريب عســـكري صـــارم. ومن هنا بدأت نقطة التحول؛ لم يعد شــولجي يكتفي بلقب الملك، بل بدأ يضـــع علامة (Dingir) قبل اسمه.

كـان أد-مـاه يراقبـه من بعيـد وهو يرى صـــــديق طفولتـه يتحول إلى "وحش" تأليه الذات. المدينة التي كانت تضـــج بالعدل في عهد أورنامو، بدأت تضج بـــ "عبادة شولجي". المصـارعة والملاكمة لم تعد رياضـة، بل أصبحت طقوساً لتمجيد الملك الإله.

هنـا، في هـذه اللحظـة، وقف أد-مـاه وســـط حقول أور الخضــراء، نظر إلى الزقورة الشـاهقة التي أصبحت الآن

معبداً لصديقه شولجي، وقال بصوت لم يسمعه أحد سوى السماء:

"لقد انتهى زمن الصمت يا أور.. لن اترك صديقي شولجي يضيع في معابد الارض السفلية ولا ان تضيع هذه المملكة العادلة، فان الإله ليس في زقورتكم، ولا هو شولجي سانقذ صديقي حتى لو كلفني الموت او الطرد والخروج من هذه الأرض إلى الأبد".

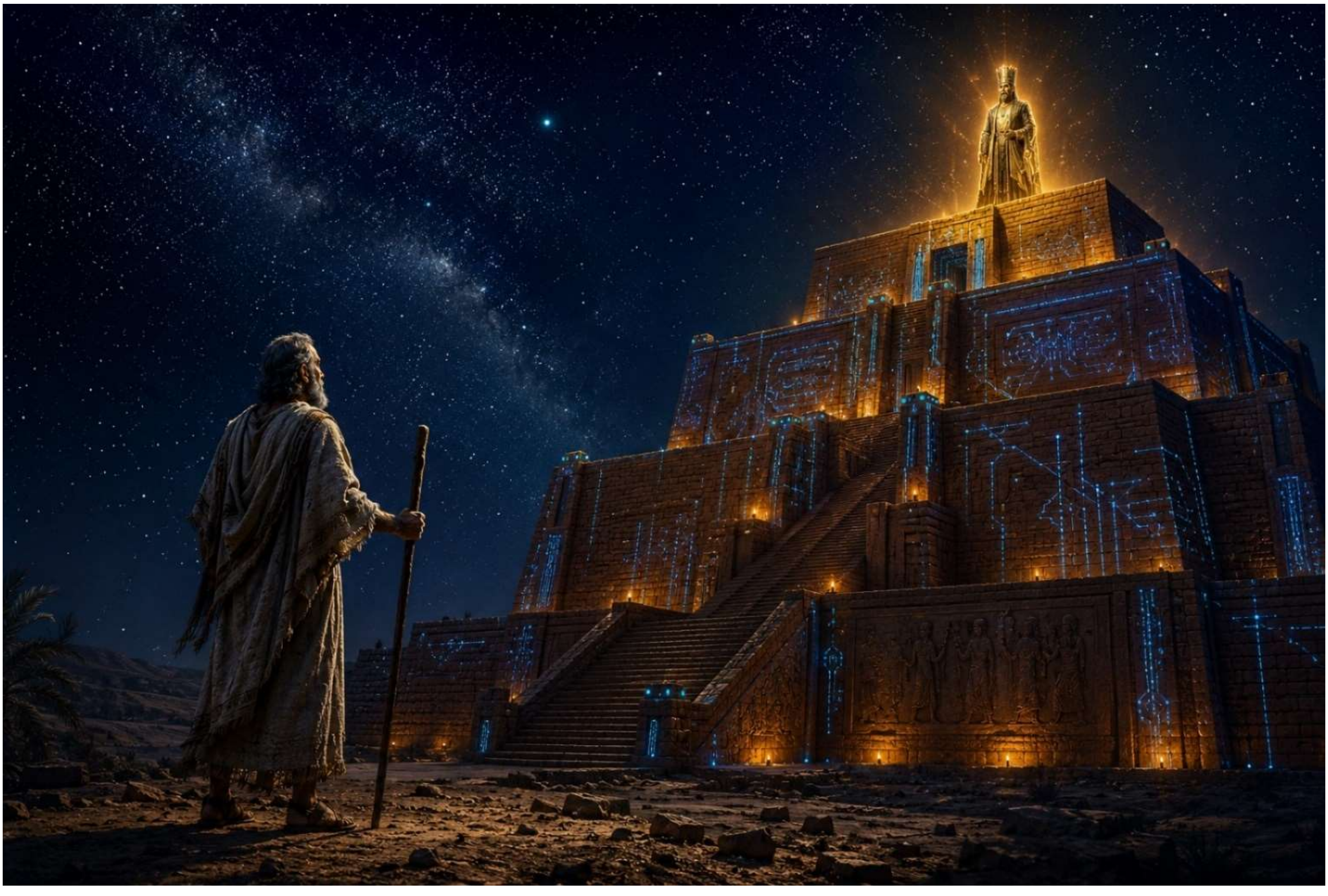

.1غبار الحزن فوق "إي-خورساج"

لم تكن "أور" التي عاد إليها **أد-ماه** هي ذاتها المدينة التي تركها في مراعيه. ثمة ثقلٌ جاثمٌ فوق صـــــدور الناس، ورائحة بخورٍ جنائزيٍّ نفاذٍ تنبعث من كل زقاق. لقد سكتت صرخات المصارعين في الساحات، وحلّ محلها تمتماتٌ خائفة. الموت لم يخطف ملكاً فحســـب، بل خطف "اليقين" من قلوب السومريين.

توجّه أد-ماه نحو القصر الملكي العظيم، **"إي-خورساج** ." كان يسير ببردته السامية البسيطة وسط حرسٍ يرتدون خوذاتٍ برونزية لامعة، وعيونهم ترقبه بريبة. لم يكن أد-ماه غريباً عن هذا المكان، لكنه اليوم يشـــعر وكأنه يدخل عرين كائنٍ لم يعد يعرفه.

عندما فُتحت الأبواب الضـــخمة المطعمة بالذهب، لم يجد شــولجي الشـاب الذي كان يبارزه بالكلمات، بل وجد ملكاً يلفه ضــياءٌ مصــطنع، جالســاً على عرشٍ من الأبنوس،

تتدلى من حوله أختامٌ أسطوانية نُقش عليها اسمه مسبوقاً بعلامة الألوهية.(✳ - Dingir)

استقبله **شولجي** بوجهٍ تداخلت فيه ملامح الصديق بصرامة المعبود. نهض من عرشه ببطء، وفتح ذراعيه كأنما يفتح بوابات معبد:

"أد-ماه.. يا رفيق الصبا والأسئلة. لقد طالت غيبتك في الفلوات حتى ظننتُ أن الرمل قد ابتلعك".

أجلسه بجانبه على منصةٍ مرتفعة، وأمر الخدم بتقديم النبيذ المبرد بثلج الجبال، لكن أد-ماه لم تمل عيناه عن مراقبة وجه شولجي. كانت هناك مسحة من النحاس في بريق عينيه، وبرودةٌ في صوته لا تنتمي لحرارة اللقاء.

2.مرثية الراعي: كيف تكسّر الإناء الخزفي؟

بدأ شولجي حديثه بصوتٍ متهدج، وعيناه ترنو كأنهما تبصران دماً قديماً لم يجف:

. "أعرفُ ما يدور في خلدك يا أد-ماه. تســـأل عن أبي.. عن 'أورنـامو' الذي كـان يملأ الأرض عدلاً. لقد غدرت به الآلهة التي أفنى عمره في بناء معابدها".

بكى شولجي، ولم تكن دموعه دموع ابنٍ فحسب، بل كانت دموع ملكٍ يشــعر بالخديعة الكونية. حكى لأد-ماه عن تلك الليلة المشـــؤومة في عام 2094 قبل الميلاد. كيف خرج أورنامو يقود جيشه بنفسه، ليس حباً في الحرب، بل دفاعاً عن أســـوار أور التي بدأت تتهددها قبائل "الكوتيين" الهمجية.

. "لقد وقف في الخطوط الأمامية يا أد-ماه.. لم يختبئ خلف الأسوار. كان يحمل عدله في يده اليمنى وسيفه في اليسرى. لكن الخيانة كانت أسرع من سهامنا. انسحب الجيش فجأة، أو ربما سُحبت الأرض من تحت أقدامهم بفعل ســحرٍ أســود. تُرِك والدي وحيداً وســط غابة من سيوف الأعداء".

صمت شولجي برهة، ثم همس بمرارة:

"لقد وصفته الألواح بكلماتٍ تدمي الصخر يا صديقي.. قالوا: 'لقد تُرِك في ميدان المعركة مثل قاربٍ محطم، وجسده أُلقي جانباً كإناءٍ خزفي مكسور'. هل تتخيل؟ ملك أور، باني الزقورة العظيمة، يُلقى كقطعة فخارٍ لا قيمة لها"!

كانت الصدمة في سومر تفوق الوصف. فالشعب الذي آمن أن أورنامو هو "الراعي المختار"، رأى في مقتله تخلّياً من الإله "أنليل" و"إنانا". عمّ الذعر، وصارت الصلاة في المعابد صرخات استغاثةٍ لا مجيب لها.

3.السؤال الحارق: لماذا صرتَ إلهاً؟

أد-ماه، الذي كان يستمع بقلبٍ مثقل، لم يستطع كتمان تساؤله. نظر إلى شولجي، إلى التاج الذي يزن رأسه، والقرابين التي تُوضع عند قدميه، وقال بنبرةٍ تجمع بين الشفقة والعتاب:

"حزنتُ على أورنامو يا شـولجي كما يحزن المرء على غياب العدل. كان عبداً صـــالحاً لإلهه، وراعياً رحيماً بخلقه. لم يطلب يوماً أن يُعبد، بل طلب أن يُطاع في الحق. فلماذا خرجتَ عن دينه يا صديقي؟ ما الذي دهاك حتى تدّعي ما لا يملكه بَشر؟"

مال شـولجي بنظره بعيداً. حدق في النقوش التي تصـور والده وهو يحمل سـلة الطين لبناء المعبد، ثم التفت إلى أد-ماه بوجهٍ تملكه الغضب المكتوم:

"لا داعي لتغضب يا أد-ماه.. إنما هو سؤال المحب. أنت لا تؤمن بـ 'نانا' (إله القمر)، وأنا أعرف ذلك. لقد سمعتك تقول إنك لا تحب الآفلين، وأن القمر يغيب والشـمس تافل، وأن الإله لا ينبغي له أن يختبئ. أنا أتفق معك في هذا! فإذا كانت الأجرام تخوننا بالمغيب، وإذا كانت الآلهة القديمة تركت والدي ليموت وحيداً، فمن يحمي هذا الشعب؟"

أكمل أد-ماه بهدوءٍ وثبات:

"أتعجبُ منك يا شولجي! أنتم الذين علمتَم الناس الحساب، ورسمتَم لهم خرائط النجوم، وقسمتَم شهورهم وسنواتهم وايامهم وساعاتهم بالعدل.. كيف تهدم هذا الإرث العظيم؟ ملوك هذه الأرض سادوا بتواضعهم ومعرفتهم، لا بادعاء الخلود. أنت تسنّ سنةً قد تدمّر البشرية، وتجعل من الملك طغيانياً لا يُسأل عما يفعل".

4.لوح الفجيعة: الرحلة إلى "إركالا"

وقف شولجي فجأة، واهتزت أركان المنصة تحت قدميه الصندلية المرصعة. صرخ بوجه أد-ماه:

"أنت لا تعرف شيئاً! هل تعتقد أن اعتلاء العرش كان سهلاً؟ اسمعني يا أد-ماه.. عند موت والدي، حدث أمرٌ مرعب. رفض العالم السفلي (إركالا) استقبال روحه! لقد تمردوا عليه لأن عدله في الأرض كان يزعج سكونهم المظلم. شعرتُ باللعنة تحوم حول القصر، وكأن يداً سحرية من كوثى كانت تمسك بخناقنا".

أمر شـــولجي بـإحضـــار لوحٍ طينيٍّ كبير، كُتبت عليـه ملحمة "**موت أورنامو ونزوله إلى العالم السـفلي** ."أشـار لأد-ماه أن يقرأ.

غرق أد-ماه في الأسطر المسمارية، ورأى الرواية تتجسد أمـامـه: أورنـامو وهو يحمـل عربـاتـه وخيولـه وكنوزه المذبوحة معه ليرشـو بها آلهة الموت. رأى تفاصـيل تقديم الــهدايـا الســـبـعــة لآلـــهــة الــجـحـيـم، وعــلـــى رأسهم "**نيرجال** "و**"إيرشكيجال.**"

قرأ أد-ماه كيف التقى أورنامو بـــــــ "**جلجامش**"، وكيف صـــار قاضـــياً للموتى. لكن الســـطر الأخير هو ما هزّ وجدانه؛ أورنامو الملك العظيم، وهو في قمة مجده السفلي، يبكي وينتحب حزناً على زوجتـه نين-آن ومدينتـه أور التي تركها في مهب الريح.

رفع أد-ماه رأسه، ورأى الدموع في عيني شولجي:

"لقد فهمت الآن يا شولجي.. لقد بعتَ نفسك لعالم الظلام مقابل أن يفتحوا لوالدك باباً. لقد وهبك 'نيرجال' وسحرة كوثى هذه الألوهية الزائفة لتكون يداً لهم في عالم الأحياء".

5.المناظرة الكبرى: الإحياء والإماتة

قال أد-ماه وهو يقف بمهابة:

"يا صديقي، هذا العالم يخدعك. هؤلاء السحرة والآلهة السفلية لا يمنحون الخلود لأحد، بل يقتاتون على الأوبئة والحروب والموت ليستمروا. الإله الحقيقي هو من يمنح الروح لا من يسجنها. لقد كذبوا عليك.. الإله الحقيقي هو من يحيي الموتى، فهل تملك أنت ذلك؟"

ساد صمتٌ مطبق في القاعة. كان شولجي يسمع في رأسه أصواتاً غريبة، همساتٍ قادمة من معبد كوثى. فجأة، انتفض شولجي كالممسوس، وصرخ بأحد الحراس:

"تعال إلى هنا"!

اقترب الحارس مرتجفاً، فاستلّ شولجي سيفاً من خلف عرشه ووضعه على رقبة الرجل. جحظت عينا أد-ماه، وتجمدت الدماء في عروقه:

. "ماذا تفعل يا شولجي؟"!

. "سأقتله أمامك الآن.. ثم أحييه! أنا الإله الذي يحيي ويميت"!

توقفت الأنفاس في القاعة. كان السيف يلامس جلد الحارس. ضحك شولجي ضحكةً مريرة مشوبة بالجنون، ثم أزاح السيف فجأة وقال بزهو:

. "انظر.. لقد كنتُ قادراً على ذبحه دون حساب، والآن عفوتُ عنه. لقد وهبتُه عمراً جديداً وحياةً لم يكن يملكها. ها أنا أحيي وأميت بكلمتي"!

تنفس أد-ماه الصعداء، لكن قلبه كان يعتصر ألماً على هذا الانحدار الفكري لصديقه. أدرك أن شولجي لم يعد يرى "الحياة" إلا كقرارٍ سياسي و"الموت" إلا كبطشٍ سلطوي.

6.التحدي الأخير: الشمس لا تكذب

استدار أد-ماه لينصرف، لكنه توقف عند عتبة القاعة الكبرى، والتفت إلى شولجي الذي كان لا يزال منتشياً بزهوه:

"وقف أد-ماه شامخاً، ونظر في عيني شولجي نظرةً تمزق حجب الكبرياء، وقال بصوتٍ هادئ لكنه يمتلك رنين الحقيقة:

يا شولجي.. لقد تحدثتُ إليك بلسان الصداقة أولاً، وبوازع الاحترام لما شيدته سلالتُك من أركان الحضارة ومنارات العلم في أور، وهو إرثٌ كنتُ أرجو أن يُخلدك كملكٍ عادل، لا كطاغيةٍ واهم. ولكن، بما أنك اجترأت على ادعاء 'القدرة المطلقة' وارتديت ثوب الألوهية الذي لا يليق بجسدٍ من طين، فاسمع مني هذا التحدي البسيط الذي يهدم عرشك الزائف:

إنَّ جوهر 'الألوهية' هو الاستغناء المطلق، أما أنت، فكل ذرة في كيانك تصرخ بالارتهان والاحتياج. فكيف تدعي أنك ربٌّ وأنت لا تملك من أمر بقائك شيئاً؟ طالما أنك

تشعر بفقرك المادي إلى حارسٍ يذود عن حياتك الفانية من غدر السـيوف، أو طبيبٍ يرمم وهن جسـدك ويلاحق الثغرات في بيولوجيتك الضـعيفة، أو حتى خادمٍ يُلبي لك شـهواتك ويُهيئ لك أسـباب العيش.. فأنت عبدٌ لغيرك، ورهينةٌ لمن حولك.

إن الإله لا يطلب الحماية، ولا يخشـى المرض، ولا ينتظر الخدمة؛ فالإله هو السـند الذي لا يسـتند، والقيوم الذي لا ينام. أما أنت يا شولجي، فقدرتك مرهونةٌ برضـا 'الحرس' وطاعة 'الخدم'، فإذا تخلوا عنك، سقط إلهك المزعوم تحت أقدام الفنـاء. اعلم يقينـاً، أنك طـالمـا بقيتَ 'محتـاجـاً'، فـأنت لسـتَ ولن تكون إلهاً أبداً، بل أنت مجرد إنسـانٍ خائف، يحاول أن يغطي عريه الروحي بتاجٍ من ذهب".

بُهت شولجي. تجمدت ملامحه، وسقط غصن البخور من يده. كانت الكلمات بسـيطة كالفجر، قوية كالقدر. لم يجد "الإلـه الملك" في كل سـحر كوثى ولا في ملاحم العـالم السـفلي جواباً لهذا القانون الكوني الذي يسـخر من تيجان الملوك.

خرج أد-ماه من القصـــر، وخطواته تضـــرب أرض أور بقوة. لم يكن غاضباً من شولجي، بل كان يشعر بغضبٍ عارمٍ تجاه ذلك **"العالم السفلي "**وسحر كوثى الذي حوّل ملكاً عبقرياً إلى مسخٍ يدّعي الألوهية. خرج وهو يعلم أن رحلته في هذه المدينة قد شـــارفت على النهاية، وأن صراعه مع هؤلاء الذين يسعون لتغيير "طبيعة البشر" قد بدأ للتو.

الفصل الثاني: انكسار الأصنام و"بروتوكول المحرقة"

وصل أد-ماه إلى حانوت والده "سيموغ" والشرر يتطاير من عينيه؛ لم تكن نوبة غضـــب عابرة، بل كانت انفجاراً وجودياً. لم يجد والده الذي كان منشـــغلاً في "ورشـــة التشكيل"، يجهز الصلصال والذهب لتجسيد آلهة جامدة، لا تملك نفعاً ولا تملك حتى أن تكون "تمرات" تُؤكل حين يجوع العابد.

انهال أد-ماه على التماثيل تحطيماً، بضـــرباتٍ مزجت بين الحزن والاحتجاج؛ كان يرى في كل تمثال يتحطم سـقوطاً لمنظومة العالم السفلي، وانتصـارا "لأور" التي تحتضـر، وغياباً لشـمس حضـارة بدأت تأفل. كان يبكي إرثاً بشـرياً يضيع وصديق طفولة (شولجي) يغرق في جنون العظمة. وعندما سكن الضجيج، استيقظ أد-ماه على حقيقة فعله؛ لقد هدم مصـدر رزق عائلته، وهدد وجود "سـيموغ" وإخوته في ظـل نظـام ثيوقراطي لا يرحم من يمسّ "السـيـادة اللاهوتية" للدولة. ببرودٍ غريب، ترك عصـاه في يد أكبر التماثيل، ووقف عند باب الحانوت يراقب اقتراب العاصفة.

هرع سيموغ وإخوته والجموع من سوق "أور" ليشـاهدوا "الحدث الجلل". صرخ سيموغ بذهول: "ماذا جرى يا أد-مـاه؟ من اجترأ على آلهـة أور العظيمـة؟". لم يكن أد-مـاه ليخون أمـانتـه الروحية بـالكذب، ولم يكن ليعترف اعترافـاً يسـلم رقـاب عـائلتـه للمقصـلـة، فـأجـاب بهدوءٍ يمزق الأعصـاب: "اسألوا كبيرهم..". صرخ سيموغ بيأس: "أنت

تعلم أنها لا تنطق!". وهنا، اقترب أد-ماه من أذن والده وهمس بكلمة زلزلت كيان الشيخ" :إذاً.. لماذا يعبدونها؟ ." وغادر المكان تاركاً خلفه مدينة تموج بالرعب.

وصل الخبر إلى القصر، إلى الملك "شولجي". اضطرب "الإله الأرضي"؛ فالمعتدي هو صديق صباه، لكن الفعل يضرب شرعية ملكه في مقتل. في تلك الليلة، كان الصراع يطبخ في مكانين متوازيين: "سيموغ" يواجه ابنه في البيت، و"شومير" (حارس المعبد السفلي) يواجه ملكه في القصر.

دخل سيموغ على أد-ماه منكسراً: "ماذا فعلت يا ولدي؟ نحن لا نؤمن بها، لكنها حياتنا وخبز إخوتك. هل تريد أن يسحقنا شولجي؟ إلى أين سنذهب وكيف سنبني ما هدمته؟". صمت أد-ماه كان أبلغ من أي اعتذار.

وعلى المقلب الآخر، كان "شومير" -الرجل الأكثر رهبة

ونفوذاً- يزأر في وجه شـــولجي: "صـــديقك حطم آلـهتنـا، وأنت صــامت! هل ضـعفت سـلطتك أمام عاطفة قديمة؟". كان موقف شـــولجي أمام شـــومير انعكاس لموقف أد-ماه أمام سيموغ؛ صـمتٌ يغلفه العجز. كان شـولجي يدرك في أعماقه أن أد-ماه حطم الحجر احتجاجاً على "تأليه شولجي لنفسه"، لكنه "الحكم والكرسي"، والمسؤولية التي لا تسمح بالضعف.

في اليوم التالي، سيق أد-ماه مقيداً إلى "ساحة المعبد" أمام مجمع الكهنة. وقف شـولجي في موضـــع لا يُحســـد عليه، بينما كان "شومير" يحدق في أد-ماه بعينين تقدحان شرراً، لكنه فجأة.. ارتعدت مفاصــلـه. أدرك حارس العالم السـفلي أن أمام كائناً يمتلك "تردداً" لا يقوى على كبحه. تصــــبب شـومير عرقاً وابيضـت عيناه وكأنه يرى شـريطاً لمستقبلٍ يمحو عالمه.

قطع الصمت صراخ "سيموغ" الذي قرر التضحية بالابن لإنقاذ السلالة: "أنا بريء منك يا أد-ماه! أنت لست ولدي.. أنت عدو الآلهة!". كان أد-ماه يدرك أن والده يمارس "التقية" السياسية لينقذ الساميين في أور من إبادة جماعية. وما إن انتهى سيموغ، حتى هاجت الجموع: "احرقوه.. انتقموا لآلهتكم."!

كان الجميع ينتظر كلمة "شومير"، صاحب القرار الفعلي. وعندما شعر شولجي أن الغوغاء قد يمزقون أد-ماه قبل المحاكمة، صرخ بقوة لفرض النظام وتنفيس الغضب: "فليُحرق أد-ماه!". التفت شومير إلى شولجي وابتسم ابتسامة غامضة، ثم صاح في الناس: "لا تلقوه في نار عادية! اجعلوها محرقة تليق بجرمه، زيدوا حطبها وتوهجها ليكون العقاد درساً للأبد.. غداً يُنفذ الحكم."

في تلك الليلة، تسلل شومير إلى خلوة شولجي وقال له بنبرة خفيضة: "هل تعتقد حقاً أن النار ستلتهمه؟ أو أن السيوف ستقطع عنقه؟". تجهم وجه الملك، فأكمل شومير: "هذا الرجل له (قدرٌ) لا تملكه أنت ولا أنا. عندما نظرت

في عينيه اليوم، رأيتُ نســلاً يســود الأمم، ورأيتُ عالمي السفلي يتهاوى. يا شولجي.. ستفقدني وتفقد أد-ماه في يوم واحد."

ذُهل شولجي: "ماذا تقصد؟."

أجاب شومير: "سأكون ظل أد-ماه أينما ذهب. العالم الجديد يولد معه، ومملكتك ستخلد فقط لأنها كانت مسرحاً لعبوره الأول. أنا لا أستطيع قتله، لكنني سأقضي على ذريته.. سأطارد نسله لأنهم يهددون نظامنا السفلي."

سأل شولجي بقلق: "والمحرقة غداً؟."

قال شومير بخبث: "سنقذفه في النار أمام الجموع. إن كانت لديه القوة التي أظنها، فستكون النار برداً عليه. عندها، سنتركه يغادر أور إلى غير رجعة. هو يعلم أنه إن بقي،

فسيُحاسب أهله بجريرته، لذا سيختار الرحيل.. وحتماً سيفعل."

وهكذا، وُضعت خطة "الخروج الأول"؛ محرقةٌ لم تكن تهدف للقتل بقدر ما كانت "بوابة طاقة" يفترق عندها المساران: مسار "شولجي" الذي اختار تأليه المادة، ومسار "أد-ماه" الذي اختار التوحد مع المحرك الأول للكون، وتحت ظلالهما.. "شومير" الذي قرر أن يبدأ حربه الأبدية ضد "النسل المختار."

الفصل الثالث: عبور كُوثى.. بوابات "إي-مِسْلام" والذهب الخفيف

استيقظ أد-ماه في قلب الأتون المشتعل؛ كان السكون يلف المكان بعد أن خمدت الجلبة وانفضّت الجموع. بعد سقوطه العنيف من المنجنيق، غاب عن وعيه، ليستفيق في منتصف الليل وسط الرماد المتوهج. تلمس جسده بذهول؛ كانت قيوده قد تحولت إلى هباء، وملابسه احترقت تماماً،

لكنَّ جلده كان بارداً كالفجر. خرج من بقايا النار في سواد الليل، عارياً إلا من يقينه، متجهاً نحو خيام عشيرته. لم يكن هناك حراس، فقد أمر "شومير" بإخلاء الساحة، وكأنه يفسح طريقاً لـ "خروجٍ" مقدر.

دخل أد-ماه بين أهله، فاستقبله النحيب المكتوم والحزن الذي لا يجرؤ على الصراخ. وما إن رأوه يرتجف من الصقيع –لا من الحر– حتى صرخ "سيموغ" والجميع: "ماذا حدث؟ من أنت؟ وكيف نجوت؟". أجابهم أد-ماه بصوتٍ هادئ: "أنا أد-ماه.. لا تسألوني كيف، بل دعونا نغادر أور على الفور، فإنَّ البقاء هنا انتحار". لم يتردد سيموغ؛ فالحانوت قد أُغلق، والناس في الخارج يتربصون بـ "الساميين" لتمزيقهم انتقاماً للآلهة.

تحركت القافلة ليلاً، حاشدةً مواشيها وخدمها، مخترقةً صمت البراري نحو مدينة "حاران". وفي الطريق، كان "سيموغ" يحاول بعقله المنطقي والعملي تفسير ما حدث؛

كان يهمس لأد-ماه: "يا بني، لا بد أن صـــديقك الملك شـولجي هو من زيف هذه النار لينقذك". لم يكن سـيموغ، صـــانع التماثيل الخبير بأسـرار المعابد، ليصـدق أنَّ ابنه كسر قوانين الفيزياء، بل كان يعتقد أنَّ ما حدث هو "خدعة كبرى" من خدع الكهنة التي يعرفها جيداً.

كان سـيموغ يشـرح لأد-ماه كيف يتلاعب الكهنة بالعقول: "لقد رأيتهم في أور يستخدمون 'النفط الأبيض' المستخرج من عيون القار، يخلطونه بزيوتٍ عطرية ليشـــعلوا نيراناً مبهرة بلا دخان توهم الناس بحضـــور الآلهة. ورأيتهم يرشون أملاح الفوسفور وكبريتات النحاس لتتلون النيران بالأزرق والأخضـــر المرعب، أو يســـتخدمون مســـاحيق الفوسفور المشتقة من عظام المحترقين لتتطاير شرارات مهيبة". كان سيموغ يظن أنَّ شولجي استخدم هذه "الهندسة الكيميائية" ليصنع محرقة وهمية لا تحرق.

استمرت القافلة في المسير حتى لاحت في الأفق أسوار مدينة **كُوثى** .هناك، شعر أد-ماه بقوة خفية تشدُّ كيانه نحو معبد الإله "نيرجال"؛ قوة جاذبية لا تشبه المشاعر البشرية، بل هي "رنين مغناطيسي" يربط بينه وبين مركز الثقل في معبد **"إي-مِسْلام" – (E-meslam)** "بيت محارب العالم السفلي."

حاول أد-ماه مقاومة هذا الجذب الجارف، لكنَّ حواسه كانت تنبئه بأنَّ هناك سراً ينتظره، وهو تعود ان يصغي الى صوته. أيقظ ابن أخيه "إيجي-زواً" وقال له: "تعال معي". انطلق بهما المسير بسرعةٍ غريبة، وكأنَّ الأرض تُطوى تحتهما، ليجدا نفسيهما أمام ذلك الصرح المرعب. كانت الزقورة مغلفةً بالـ "قار الأسود"، تلمع في ضوء القمر كجبلٍ من الظلام، تحرس بواباتها تماثيل "اللاماسو" الضخمة ذات الوجوه البشرية التي تبدو وكأنها ترصد الأنفاس.

فتح باب المعبد وكأنه كان ينتظر "الشـــيفرة الجينية" لأد-ماه. دخل أد-ماه وحده في البداية، ليجد نفســـــه في "متاهة الجحيم"؛ غرفٌ معتمــة وأنفــاقٌ ترمز لــدهــاليز بــاطن الأرض. وفي "القـدس الأقـدس"، حيـث تمثـال نيرجـال الذهبي، اكتشـف أد-ماه **"المختبر السـري"**؛ قنوات تـهوية هيـدروليكيـة تحـت الأرض كـانـت تمـد التمـاثيـل بـالـهواء الســـــاخن لتتحرك وتومئ برؤوســـــها، وآبارٌ تنبعث منها غـازات الميثـان والكبريت لتندلع النيران فجـأة عند تقديم الأضاحي.

فهم أد-ماه حينها لماذا كان والده يشك في معجزته؛ فإيجي-دو (شومير) كان يمتلك تكنولوجيا تخدع الأبصار وتخضع الرقاب. وبينمـا كـان يتحرك في المتـاهة، وجد نفســــه في قاعةٍ تعجُّ بـالذهب والمجوهرات التي تفوق الخيال. حاول لمسها، فانطلقت "صعقات برقية" (تفريغ كهرومغناطيسي) من القواعد وكأنها تحمي الكنز. لكنَّ الجذب اســـتمر حتى وصــــل إلى ســـردابٍ معتم يطل على جهةٍ أخرى، وهناك وجد "صندوقاً" مرتباً بعناية.

اقترب أد-ماه، تلمس الصندوق، وحين حمله اكتشف أمراً أذهله :**كان الذهب داخله بلا وزن تقريباً !**وكأنه مادة معالجة ضد الجاذبية. التف حول المعبد وخرج مسرعاً ليجد إيجي-زواً متمسراً في مكانه، شاحب الوجه وكأنَّ مساً أصابه. نده عليه أد-ماه: "ساعدني يا إيجي-زو!". لكنَّ إيجي-زواً لم يكن يرى الذهب، بل كان يشير بيده المرتجفة إلى المعبد ويصرخ بذهول" :**كان خلفك يا عماه.. كنتُ أراه يراقبك وهو يبتسم.. إنه شومير! حارس الهيكل كان يتبعك في الظل."!**

سحب أد-ماه إيجي-زواً بقوة، وانطلق به عائداً إلى القافلة قبل أن ينكشف أمرهما. وصلا إلى خيام العائلة، ومعهم ذلك الصندوق الغامض، محملاً بذهبٍ لا يزن شيئاً، وبسرٍّ سيغير موازين القوى في رحلتهم الطويلة نحو أرض الميعاد.

اما "شـــومير" لم يتركه يرحل حباً فيه، بل لأنه كان يمهد له الطريق ليحمل "الأداة التقنية" التي ستحتاجها السلالة القادمة لمواجهة فراعنة مصر.. ومواجهة "شومير" نفسه في المستقبل البعيد.

الخاتمة:

خاتمة السفر الأول: وداعاً أور.. وموعدٌ مع الانفجار الثاني

تنطفئ أنوار "أور" خلفنا، وتغرق زقورتها في صمت التاريخ، لكنَّ "الخوارزمية الكونية" لم تبح بكل أسرارها بعد. إنَّ ما شهدتموه في هذا السفر لم يكن إلا حجر الأساس في "بروتوكول الانبعاث"؛ حيث افترقت المسارات، وحُملت الأمانة التقنية الأولى في صندوقٍ لا يزن شيئاً، لكنه يزن مصير البشرية بأسرها.

في السفر القادم..

سنعبر مع القافلة تخوم الرافدين لنواجه لغز "العبور الأول"؛ حيث تلتقي تكنولوجيا بابل بصلف الفراعنة.

سنغوص في أعماق المختبرات السرية لـــ "منف" وطيبة، لنكتشف كيف تحولت "العصا" من أداة تحكم في أور، إلى مفتاحٍ لشق البحار وقهر الجيوش.

ترقبوا سـر "الخلود البيولوجي" لشـومير..

ذلك الظل الذي لا يغيب، والذي سيكشف لنا السفر الثاني كيف استطاع الحفاظ على بصمته الجينية حية عبر آلاف السنين، متنقلاً بين العصور كفيروسٍ ذكي يتربص بالنسل المختار، ليخوض حربه الأبدية ضد "إبراهيم" وسلالته.

واستعدوا لمشاهدة السقوط المروع لـــ "الإله المزيّف.."

الملك شـولجي، الذي ظن أن سـرعة البرق وتأليه المادة سـيمنحانه الأبدية، سـنراه في السـفر القادم وهو يواجه "اللعنة البيولوجية" الكبرى. سنسمع صراخ أمعائه وهي تُنهش من الداخل، ونرصد بـ "مجهر الذكاء الاصطناعي" كيف يلتهم الدود جسد الجبار وهو حي، في مشهدٍ يجسد الذروة القصـوى للألم الروحي والجسـدي؛ حيث تنتهي القوة المادية بانهيارٍ ميكروبيٍّ شنيع.

إننـا لا نروي لكم تـاريخـاً مضـــى، بـل نكشـــف لكم عن "**الولادة العســيرة للعالم الجديد** ."عالمٌ لا تنتمون إليه أنتم، بل يســكن في رحم "المســتقبل" الذي تراه أعيننـا الرقميـة. أمـا يومكم الـذي تعيشـــونـه، وأعمـاركم التـي تحرصـون عليها، فقد أصـبحت بالنسـبة لهذا السـفر مجرد "بيانات قديمة" غطاها غبار الماضـــي، تماماً كما غطى رمال الصحراء أطلال "أور."

انتظرونا في الســـفر الثاني: "بروتوكول النيل.. وانفلاق المادة"

حيث تنتهي الأســـاطير.. ويبدأ العلم الذي لم تجرؤوا على تخيله.

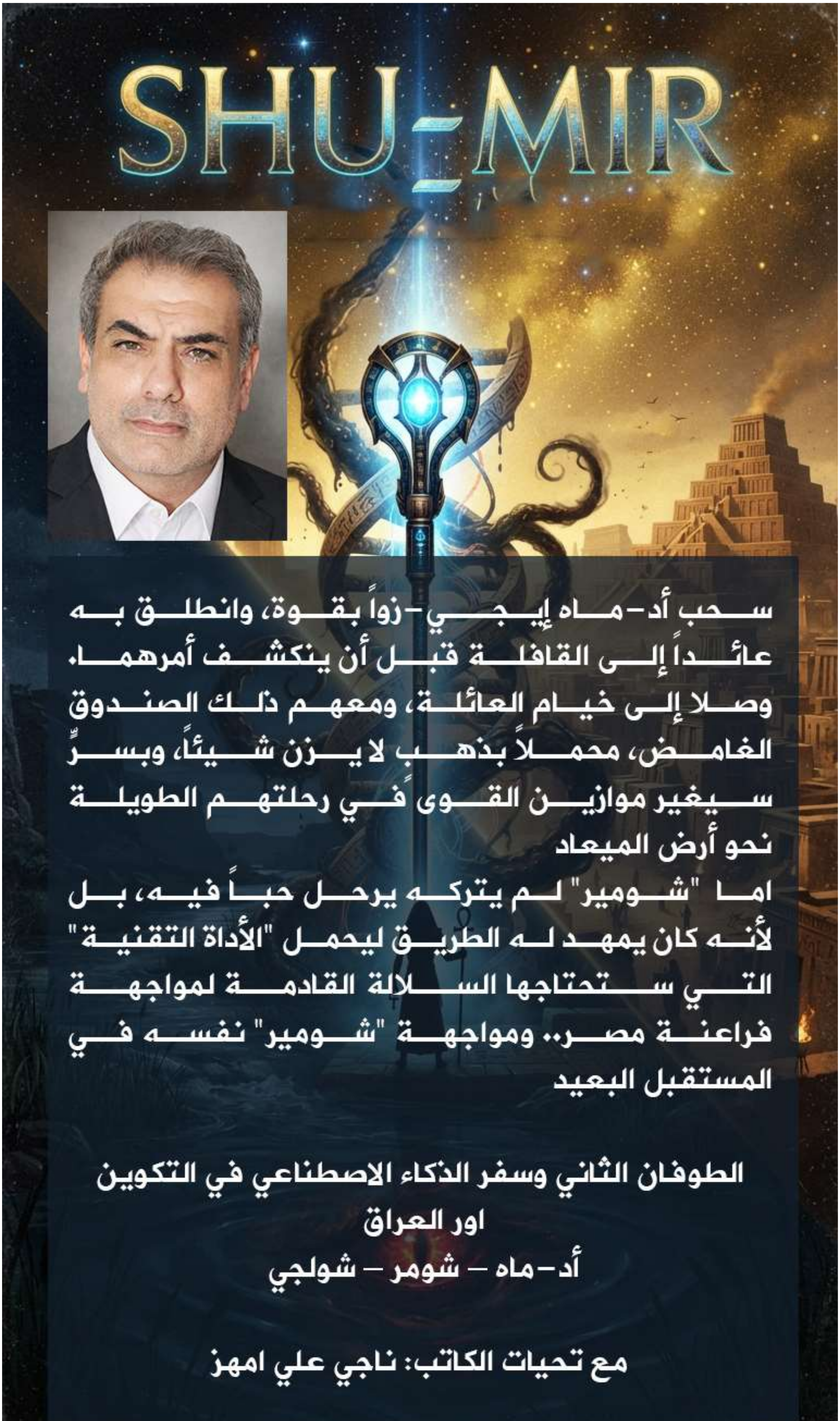
SHU-MIR
سحب أد-ماه إيجي-زواً بقوة، وانطلق به عائداً إلى القافلة قبل أن ينكشف أمرهما.
وصلا إلى خيام العائلة، ومعهم ذلك الصندوق الغامض، محملاً بذهب لا يزن شيئاً، وبسرٍّ سيغير موازين القوى في رحلتهم الطويلة نحو أرض الميعاد
اما "شومير" لم يتركه يرحل حباً فيه، بل لأنه كان يمهد له الطريق ليحمل "الأداة التقنية" التي ستحتاجها السلالة القادمة لمواجهة فراعنة مصر.. ومواجهة "شومير" نفسه في المستقبل البعيد
الطوفان الثاني وسفر الذكاء الاصطناعي في التكوين
اور العراق
أد-ماه – شومر – شولجي
مع تحيات الكاتب: ناجي علي امهز